جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

دعوة القرآن الكريم
إلى الارتقاء الحضاري للأمم

إعداد

د. سارة محمد صالح الحسني

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم التطبيقية، جامعة الملك خالد، السعودية.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الأول

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

دعوة القرآن الكريم إلى الارتقاء الحضاري للأمم

د. سارة محمد صالح الحسني

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم التطبيقية، جامعة الملك خالد، السعودية.

البريد الالكتروني: salhusni@kku.edu.sa

الملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة:(دعوة القرآن الكريم إلى الارتقاء الحضاري للأمم) حيث تعد الحضارة الإسلامية واحدة من أعظم الحضارات الإنسانية التي قامت على مر العصور، وتميزت عن غيرها من الحضارات؛ فقد كان الإسلام بمبادئه وقيمه هو مصدر الإلهام لقيام الحضارة الإسلامية وارتقاءها وازدهارها، وقد دعا القرآن الكريم إلى الاهتمام بالإنسان والسعي إلى تحقيق الطمأنينة والأمن والسلام له، وإقامة المجتمع الفاضل وإسعاد البشرية، وقد تكونت الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وبينت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومشكلة البحث ومنهجه وخطته، وذكرت الدراسة في التمهيد التعريف بمفردات عنوان البحث ومرادفات كلمة الحضارة في القرآن الكريم والمبحث الأول كان بعنوان: المبحث الأول: أسس الارتقاء الحضاري في ضوء القرآن الكريم، والثاني: من قيم الارتقاء الحضاري في ضوء القرآن الكريم، والثالث نماذج قرآنية للارتقاء الحضاري في ضوء القصص القرآني، واستنادًا على أهداف الدراسة توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج من أهمها: الحضارة الإنسانية الرائدة تحقق للإنسان إنسانيته وتيسر له القيام بدوره المنشود، كما تيسر له غايته الكبرى وهي عبادة الله تعالى، وتعينه على تحقيق حاجياته وتلبية رغباته وبلوغ طموحاته المشروعة، وبناء على ما سبق توصي الدراسة بضرورة البحث والتنقيب عن القيم الحضارية في القرآن الكريم وجمعها وتوظيفها والاستفادة منها .

الكلمات المفتاحية: **دعوة، القرآن، الارتقاء، الحضارة، الإسلامية، الازدهار، المجتمع، القيم .**

The Call of the Qur'an to the Civilizational Advancement of Nations

Sara Mohammed Saleh Al-Husni
Associate Professor, Department of Islamic Studies, College of Applied Sciences, King Khalid University, Saudi Arabia
Email: salhusni@kku.edu.sa

Abstract:

This study aims to explore the Qur'anic call for the civilizational advancement of nations. Islamic civilization is considered one of the greatest human civilizations that has existed throughout history, distinguished from others by its unique principles and values. Islam, with its teachings, provided the inspiration for the rise, advancement, and flourishing of Islamic civilization. The Qur'an calls for the care of humanity, the pursuit of tranquility, security, and peace, the establishment of a virtuous society, and the happiness of mankind.

The study consists of an introduction, a preface, three main sections, and a conclusion. The introduction discusses the importance of the topic, the reasons for its selection, the research problem, methodology, and plan. In the preface, the study defines the key terms in the title and the synonyms for the word "civilization" in the Qur'an.

The first section, titled "Foundations of Civilizational Advancement in the Light of the Qur'an," the second section, "Values of Civilizational Advancement in the Light of the Qur'an," and the third section, "Qur'anic Models for Civilizational Advancement in Light of the Quranic Stories," present the core analysis. Based on the study's objectives, the researcher concluded several key findings, including the fact that leading human civilization fulfills the humanity of the individual, facilitates their role in life, and aids in achieving their highest purpose, which is the worship of Allah. Furthermore, it helps meet their needs, satisfy their desires, and achieve their legitimate aspirations.

The study concludes with a recommendation to further explore the civilizational values found in the Qur'an, gather them, apply them, and benefit from them.

Keywords: Call, Qur'an, Advancement, Civilization, Islamic, Prosperity, Society, Values.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد جعل الله ﷻ للأمة الإسلامية من الخصائص والملكات ما جعلها خير أمة أخرجت للناس، وهيأ لها الوسائل، والسبل للتعامل مع الواقع، والتكيف مع الظروف، والبيئات، والتغلب على التحديات، والصعوبات، مما جعلها تبني حضارة مبدعة في دنيا الناس، ولذلك فقد نجح القرآن الكريم في أن يبعث حضارةَ أُمة ما عُرف لها حضور لافتٌ خارج حدودها في الجزيرة العربية، فإذا بها تُشرِق إبداعًا علميا وتغييرا اجْتماعيا وإنسانيّةً عاليةً في كلّ العالم..علّمَ القرآنُ العربَ والمسلمين أن ينظروا فنظروا، ودعاهم إلى السَّير في الأرض فساروا... حبّب إلى نفوسهم التّعقّل والتفكّرَ والاعتبار، والمبادرةَ إلى الفعل، والالتزامَ بالعقود، والسّيرَ في الأرض، والانكباب على العلم، والاستفادة من تجارب الأمم.

فمهمَّةُ الإنسانِ: عبادةُ الله ﷻ، والقيامُ بحقِّ الخلافةِ في الأرض بتعميرِها وإصلاحِها وإقامة موازينِ العدلِ، وأركانِ الرحمةِ في أرجائِها، وهذه المسئوليةُ يتحمَّلُها كلُّ إنسان مكلف، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[1]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم فيها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: خلقكم فيها أي: "استخلفكم فيها وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة، والباطنة، ومكَّنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون وتزرعون وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها"[2]، إن للإنسان دوره المنشود في هذا الكون فهو قوةٌ إيجابيةٌ، خلقه الله تعالى؛ ليبني حضارة يعمّر؛ ويطور، وليصلح وينمّي، والله

(١) سورة هود الآية (٦١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ (صـ٣٨٤) ــ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

سبحانه في عونِه بتسخيرِ كثيرٍ من المخلوقاتِ له، ومنحِه كنوزَ هذه الأرضِ وخيراتِها، وهو معانٌ من الله كذلك بما وهبه من القُوَى والاستعداداتِ الذاتية .

ومن مقتضيات مهمة الاستخلاف في الأرض: المحافظةُ على ثَرَوَاتِهَا وكُنُوزِهَا وخيراتِها، والسعيِ إلى إصلاحِها، والنهوضِ بها، وبأهلِها، وفق منهجِ الله تعالى، فهو تعالى خالقُ هذا الكونِ ومدبّرُه، والاستخلاف يعني: أن الإنسانَ وصيٌّ على هذا الكون لا مالكا له، إنه مستخلفٌ على إدارته واستثماره وإعمارِه، وبناء حضارته والتصرف بما لديه فيه من أمانات، فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله والأرض ليست حكرا على جيلٍ دون جيل، أو قبيل دون قبيل، فرسالةُ الإنسان في هذا الكون رسالة وتعمير، وإصلاح وبناء حضارة، فهو مسؤول عن هذا الكون، مؤتمنٌ عليه والكون مسخَّرٌ لمنافعه، مهيَّأٌ لمصالحه؛ ليحقق غايةَ وجوده، وهي عباده الله وحده .

من هنا كان هذا البحث الذي أروم به بيان "دعوة القرآن الكريم إلى الارتقاء الحضاري للأمم"، راجية أن تستفيد منه الأمة، بل والإنسانية التي خاطبها القرآن .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية البحث في دعوة القرآن الكريم إلى التقدم والارتقاء في البناء الحضاري في عدة أمور وهي كالتالي:

١. تعزيز القيم الإنسانية في ضوء القرآن الكريم مثل: العدالة، والرحمة، والمساواة، والتي بدورها تشكل الأساس الذي يمكن من خلاله بناء حضارة متطورة تلبي احتياجات جميع أفراد المجتمع.

٢. فهم المبادئ الاقتصادية والاجتماعية، في ضوء القرآن الكريم، والتي تسهم في بناء أنظمة اقتصادية قائمة على العدالة والتوازن، مما يؤدي إلى تحسين مستوى المعيشة وتطوير المجتمع.

٣. تطوير التعليم والمعرفة والذي بدورة يعتبر أداة رئيسة لتحقيق التنمية والتطور الحضاري.

٤. تعزيز السلام والتعايش في ضوء القرآن الكريم مثل: التسامح والتعاون، مما يساهم في بناء علاقات إنسانية قوية. وهذا بدوره يسهم في تعزيز السلام والتعايش بين الثقافات المختلفة، مما يعد ضرورياً لبناء حضارة مستدامة.

٥. تعزيز التعاون والتسامح بين الأفراد، مما يساهم في بناء علاقات إنسانية قوية هذه العلاقات تساعد في تعزيز الاستقرار الاجتماعي، مما يعد ضروريًا لبناء حضارة مزدهرة.

٦. دعوة القرآن إلى الارتقاء الحضاري في تطوير السياسات العامة التي تعزز من رفاهية المجتمع وتحقق التنمية المستدامة، من خلال اعتماد مبادئ قرآنية في السياسات، يمكن تحقيق نتائج إيجابية في مجالات مثل الصحة، التعليم، والاقتصاد.

٧. دعوة القرآن الكريم إلى الارتقاء الحضاري يساعد في تأكيد الهوية الثقافية للمجتمعات الإسلامية، مما يعزز من الانتماء ويقوي العلاقات بين الأفراد، هذه الهوية الثقافية تعزز من قدرة المجتمعات على مواجهة التحديات المعاصرة.

مشكلة وتساؤلات الدراسة:

يمكن أن تتمحور مشكلة البحث حول السؤال التالي:

" كيف يمكن للقرآن أن يسهم في بناء حضارة إنسانية راقية تُعزز من القيم الإنسانية، الاجتماعية، الاقتصادية، للأمم؟" تتمثل المشكلة في دراسة دور المبادئ القرآنية في تحفيز الأمم على تطوير حضاراتها بما يتناسب مع المعايير الإنسانية العالية، مع التركيز على القيم الأساسية مثل العدالة، التعاون، المساواة، والاستدامة. كما يمكن دراسة التحديات التي قد تواجه المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية في تطبيق هذه القيم القرآنية في سياقاتهم الثقافية والحضارية المختلفة.

منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التاريخي والنقدي التحليلي، حيث قمت بجمع ما استطعت من المراجع التي تحدثت عن دعوة القرآن الكريم إلى الارتقاء الحضاري للأمم، وما حصلت عليه من أقوال العلماء في الموضوع، ثم قمت بعرضها وتحليلها بأسلوب علمي موضوعي.

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

أ- قمت بإذن الله بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينة بكلام الأئمة المحققين في ذلك .

ب- قمت بإذن الله بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ في التفسير وعلوم القرآن لجمعِ مادةِ البحث وتوثيقِه، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى مصادره الأصيلة.

ج- التزمت الأمانة العلمية حيث نسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصار قلت باختصار وهكذا.

د- استوفيت توثيق المرجع في فهرس المصادر والمراجع في نهاية، البحث.

هـ- ذيلتُ بحثي بالخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ثم فهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

تتكون خطة الدراسة من مقدم وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع على النحو الآتي: أما المقدمة: وتشتمل على أهمية وأسباب اختيار الموضوع، وخطة الدراسة والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: ويحتوي على:

أولا: التعريف بمفردات عنوان البحث .

ثانيا: ورود مادة الحضارة ومرادفاتها في القرآن الكريم .

المبحث الأول: أسس الارتقاء الحضاري في ضوء القرآن الكريم .

المطلب الأول: التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب .

المطلب الثاني: دعوة الإنسان إلى تعمير الأرض .

المطلب الثالث:الإتقان في العمل .

المطلب الرابع: اغتنام الوقت .

المبحث الثاني: من قيم الارتقاء الحضاري في ضوء القرآن الكريم :

المطلب الأول: العدل والمساوة .

المطلب الثاني: الحرية والشورى.

المطلب الثالث: الإحسان، والصدق .

المطلب الرابع: التعاون والتنافس .

المبحث الثالث: نماذج قرآنية للارتقاء الحضاري في ضوء القصص القرآني ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الارتقاء الحضاري في ضوء قصة ذي القرنين .

المطلب الثاني: الارتقاء الحضاري في ضوء قصة سليمان وملكة سبأ .

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج وأبرز التوصيات ثم **فهرس المصادر والمراجع** ثم **فهرس الموضوعات** .

التمهيد

أولاً: التعريف بمفردات عنوان البحث:

تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف الحضارة في اللغة: من حضر: فالحاء، والضاد، والراء إيراد الشيء، وورودِه، ومشاهدته، والحَضَرُ خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، أي المقيم في المدن والقرى، والبادي: المقيم بالبادية، ويقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية، وفلان حَضَريٌّ، وفلان بَدَويٌّ، والحضارة الإقامة في الحضر، وروي عن الأصمعي[1] كان يقول: الحَضَارَةُ، بالفتح، قال القطامي[2]:

فمن تكن الحَضَارةُ أَعْجَبَتْهُ فأيَّ رجال بادِيَةٍ ترانا

والحَضَرُ، والحَضْرَةُ، والحاضِرَةُ: خلاف البادية، وهي المدن، والقرى، والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضَروا الأمصار، ومساكن الديار التي تكون لهم بها قرار[3].

---

(١) عبد الملك بن سعيد بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد الأصمعي (٢١٥هـ) الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، وتصانيفه ونوادره كثيرة، فقد أكثرها. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ج١٠، ص١٧٥- ١٨١، بتصرف.

(٢) عمير بن شميم من بني جشم بن بكر، كان من نصارى تغلب فأسلم، وجعله ابن سلام من الطبقة الثامنة من الإسلاميين. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس لأشهر الرجال والمساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، ط١١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥م، ج٥، ص٨٩.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.مادة (حضر)، ج٢، ص٧٥-٧٦. ، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري إشراف محمد عوض، علق عليها عمر سلامة، وعبد الكريم حامد، تقديم فاطمة محمد أصلان، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، مادة (حضر)، ج٤، ص١١٧-١١٨. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، مادة (حضر)، ج٢، ص١٠٢- ١٠٣.

وفى المعجم الوسيط : "الحضارة الإقامة في الحضر، والحضارة ضد البداوة وهى مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقى العلمي والفني والأدبي والاجتماعي"(١).

وقد قارن ابن خلدون بين البداوة والحضارة، وتوصل إلى أن الحضارة والمدنية المرحلة التي يرتقي إليها الإنسان في أحواله، وعلومه، وعوائده، وصناعاته، وفيها يتوسع في الرفاهية، والغنى، ويركن إلى الدعة، والسكون، ويستكثر من الأقوات، والملابس، ويتوسع في البيوت واختطاط المدن والأمصار(٢)، وهو أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر.

ثانيا: تعريف الحضارة في الاصطلاح:

أما عن الحضارة في معناها الاصطلاحي: فهناك تعريفات كثيرة نذكر منها ما يلي :

الحضارة: "الحصيلة التي تبلغها أمة في الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والتقني، فهي جملة من العوامل المعنوية والمادية".

الحضارة: هي "الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية.. ولهذا كانت الحضارة هي: الخطة العريضة -كما وكيفا- التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة.. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات، من مرحلة إلى مرحلة"(٣).

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر)، الناشر: دار الدعوة - (١ / ١٨١) .

(٢) مقدمة ابن خلدون وهي مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر عبد الرحمن بن خلدون، ، ط١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص٨٧-٨٨، بتصرف.

(٣) الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة - العدد الثالث- ذو الحجة ١٣٩٧هـ - نوفمبر تشرين ثاني ١٩٧٧م، (ص: ٧٠).

من خلال ما سبق يمكن القول: إن الحضارة ليست مجرد تصورات أو مفاهيم ومبادئ وقيم ولكنها أيضا تطبيق لهذه التصورات والقيم والمبادئ فهي تجمع بين النظرية والتطبيق والتخطيط والتنفيذ بين التصورات وبين الواقع .

والحضارة: عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، وعمارة الأرض تحتاج إلى قلوب طاهرة وأيادٍ متوضئة ونفوس عامرة وعقولٍ زاخرة وهمم عالية.

والمقصود بالرقي الحضاري: سعى الإنسان المتواصل إلى تحقيق غايته في هذا الوجود، هذه الغاية التي تدور حول القيام بواجبات العبودية لله تعالى وعمارة هذا الكون في ضوء التشريعات الإلهية، وعلى هذا فالارتقاء الحضاري: هو بذل الإنسان ما في وسعه من طاقات وإمكانيات لتحقيق التقدم الحضاري المنشود الذي يتواكب مع مهمته في الوجود.

تعريف الأمم في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف الأمم في اللغة: مفرد أمة والأمَّةُ في اللغة تكون على وجوه، "قال أبو العباس: الأمَّةُ تأويلها: الجماعة من كل شيء، من ذلك: أمة محمد – ﷺ–، ويقال: إنما فلان أمةٌ وَحْدَه، أي يَسُدُّ مَسَدَّ جَمَاعةٍ، ومنه يقال: فلان حسن الأُمَّة، إذا مُدِحَ بالتمامِ واستجماعِ الخُلُقِ على الاستواء"[1] ومنه سميت الأمّ؛ "لأنها المحتويةُ على الولد، ومنها يخرج، ومن ذلك قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] أَيْ: مجمع الحلال والحرام. والإمام مأخوذ من هذا؛ لأن عليه تجتمع الجماعة"[3]"ومنه: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[4] أي: بعد حين من الدهر"[1]،

(١) تهذيب اللغة (١/ ٢٠٢ – ٢٠٦)، لسان العرب (١/ ١٣٥) (أمم)، مرجع سابق .
(٢) سورة آل عمران الآية: (٧) .
(٣) لسان العرب:(١/ ١٣٣ – ١٣٤) مادة (أمم).
(٤) سورة يوسف الآية: (٤٥) .

وذلك لجماعة الشهور والأعوام، "وأم النجوم: المجرة، لأنها مجتمع النجوم، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أمّ لها، وأمُّ القوم: رئيسُهم الذي يجتمع إليه أَمْرُهم"[٢]، والأَمَم: القريب المجتمع، وأمَّه: إذا قَصَدَ الاجتماع معه[٣]، والأمة: الرجل الذي لا نظير له، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[٤]،[٥].

تعريف الأمم في الاصطلاح:

الأمة: "تلك الجماعة الذين تربطهم رابطة اجتماع يعتبرون بها واحدًا، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد"[٦].

أو هي: "الجماعة المؤلفة من أفرادٍ لهم رابطة تضمهم، ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص؛ سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، ويختلف هذا الرابط باختلاف مفهوم الأمة، فأمة الإسلام تربطها عقيدة الإسلام"[٧].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ(ص ٣٣)

(٢) لسان العرب:(١/ ١٣٣) مادة (أمم).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة:(١/ ٢٠٢ – ٢٠٣)، لسان العرب:(١/ ١٣٥) (أمم)، مرجع سابق .

(٤) سورة النحل الآية:(١٢٠) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ١/ ١٨٣ بتصرف .

(٦) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ابن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م ٢ / ٢٢٠.

(٧) ينظر: المرجع السابق نفسه ٤ / ٣٠.

ونستطيع أن نتبين من خلال متابعتنا لمفهوم الأمة عند رشيد رضا أنه يضيف أبعادًا أخرى لمفهوم الأمة في الحضارة الإسلامية؛ باعتباره مفهومًا سياسيًّا وعقَديًّا ذا مكانة خاصة في الفكر السياسي الإسلامي، وباعتباره تجمعًا عقديًّا قيميًّا ناجمًا عن تفاعُل أفراد من البشر مع مبادئ كلية، وقيَم عامة، تتجاوَز الخصوصيات الطبيعية التي تمايز بين الناس: من لون، أو عرق، أو لغة، أو إقليم[١]

ثانياً: ورود مادة الحضارة ومرادفاتها في القرآن الكريم .

وردت مادة حضر وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم، من الحضور وهو الشهود ويقابله الغياب ، قال تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[٢] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[٣]، ومن اجتماع الشيء ووجوده ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾[٤]، وملازمة الشيء لا ينفك عنه قال تعالى ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾[٥] ومعنى إحضار الأنفس الشح: أن الشح حاضر لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه، ومنه الإتيان بالشيء وإحضاره قال تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾[٦]، ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾[٧]، أي من المسوقين للحساب، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ

---

(١) ينظر: "العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية"؛ للؤي صافي، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص(٦٧) .

(٢) سورة البقرة الآية:(١٣٣) .

(٣) سورة البقرة الآية:(١٨٠) .

(٤) سورة آل عمران الآية:(٣٠) .

(٥) سورة النساء الآية:(١٢٨) .

(٦) سورة مريم الآية: (٦٨) .

(٧) سورة القصص الآية:(٦١) .

مُحْضَرُونَ ﴾[1] أي من الذين أحضروا العذاب ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾[2]، يساقون إليه ويطرحون فيه فلا يفلتون ولا يغيبون، ومن هنا فإن مدار الكلمة هو الحضور والشهود، وصلة هذا المعنى بالحضارة أن الحضارة شاهدة على المنجزات والثمرات الناتجة عن العمل، والحضور للعقل وللوعي الإنساني وللإبداع واضح فيها

أما كلمة الحضر فإنها لم ترد في القرآن الكريم بل وردت كلمة القرية مفردة ومجموعة وكلمة المدينة كذلك في مواضع كثيرة تحمل وصفا لمظاهر الحياة في القرى والمدن، فجاءت القرية في موضع الاعتبار والاتعاظ بمصير القرى الهالكة من ذلك قوله تعالى ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[3] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[4]، وأن القرية هي البلدة العامرة التي يطمع فيها الملوك الجبابرة، لينهبوا خيراتها ويفسدوا عمرانها ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[5]، ونموذج القرية العامرة المنعمة بعيش رغيد ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[6] ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[7] ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ

(١) سورة سبأ الآية:(٣٨) .
(٢) سورة الروم الآية: (١٦) .
(٣) سورة الحج الآية: (٤٥) .
(٤) سورة الحج الآية:(٤٨) .
(٥) سورة النمل الآية: (٣٤) .
(٦) سورة القصص: (٥٨) .
(٧) سورة النحل الآية:(١١٢) .

عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[1]، وضرب المثل بالقرى الهالكة وعيدا لقريش وتسلية للنبي ﷺ وتثبيتا له ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾[2]، وضرب المثل بالقرية المنحرفة عن منهج الله المعطلة لشرع الله ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴾[3]، وتأتي كلمة المدينة في القرآن مرادفة للقرية وقد تأتي بمعنى المدينة المنورة وقد تأتي بمعنى القرية الكبيرة الحاضرة العامرة، وأصل المدينة غالبا قرية صغيرة امتد عمرانها حتى صارت مدينة ،﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[4] ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾[5] ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾[6] ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[7] ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[8]، ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[9] ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[10]

---

(١) سورة الإسراء الآية:(١٦).
(٢) سورة محمد الآية: (١٣) .
(٣) سورة الطلاق الآية:(٨) .
(٤) سورة الأحزاب الآية:(٦٠) .
(٥) سورة الأعراف الآية:(١٢٣) .
(٦) سورة التوبة الآية:(١٠١) .
(٧) سورة يوسف الآية:(٣٠) .
(٨) سورة الحجر الآية:(٦٧) .
(٩) سورة الكهف الآية:(١٩) .
(١٠) سورة الكهف الآية:(٨٢) .

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾[1] ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[2] ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3]، وبالنظر والتدبر في هذه الآيات نجد المدينة هي المجتمع العمراني الأوسع الذي يشتمل على مرافق كالمطاعم والأسواق الدائمة وغيرها، والتعبير من أقصى المدينة يشير إلى اتساعها وترامي ما بين أطرافها .

(١) سورة القصص الآية:(١٥) .

(٢) سورة القصص الآية:(٢٠) .

(٣) سورة يس الآية:(٢٠) .

المبحث الأول: أسس الارتقاء الحضاري في ضوء القرآن الكريم .

المطلب الأول: التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب

من أهم أسس التقدم والنهوض والرقي الحضاري التوكل على الله ﷻ الذي بيده مقاليد كل شيء وهو المدبر لهذا الكون المتصرف فيه بيده ﷻ مفاتيح الرحمات والبركات والعطايا، مع الأخذ بالأسباب الموصلة للتقدم والنهوض والرقي الحضاري وقد ذكر القرآن الكريم جملة من الآيات التي تبين أن التوكل على الله من أهم أسس التقدم والرقي الحضاري قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

يعني :"يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعني أن علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الأشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ يعني إلى الله يرجع أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة ﴿ فَٱعْبُدْهُ ﴾ يعني أن من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تستغل بعبادة غيره ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ يعني وثق به في جميع أمورك فإنه يكفيك ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قال أهل التفسير هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى أنه سبحانه وتعالى يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"[2]، والتوكل من أسباب النصر والتمكين، قال تعالى:﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3]، ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: "الذي له جميع العظمة ﴿ فَلَا غَالِبَ

---

(١) سورة هود الآية:(١٢٣) .

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ،(٥٠٩/٢) .

(٣) سورة آل عمران الآية:(١٦٠) .

لَكُمۡۖ ﴾ أي إن كان نبيكم صلى الله عليه وسلم بينكم أو لا ، فما بالكم وهنتم لما صاح إبليس أن محمدا قد قتل! وهلا فعلتم كما فعل سعد بن الربيع رضي الله تعالى عنه وكما فعل أنس بن النضير رضي الله تعالى عنه حين قال: " موتوا على ما مات عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم ! فهو أعذر لكم عند ربكم ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ ﴾ أي بإمكان العدو منكم﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ أي من نبي أو غيره ، ولما كان التقدير: فعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، عطف عليه قوله : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي الملك الأعظم وحده، لا على نبي ولا على قوة بعد ولا بمال من غنيمة ولا غيرها ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ أي كلهم فيكون ذلك أمارة صحة إيمانهم"[1]، وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2]،أي: " لننزلنهم في الدنيا بقعة حسنة، وهي المدينة، أو منزلة حسنة، وهي العز والتمكين في البلاد ، وكل أمل بَلَغَهُ المهاجرون، أو حياة حسنة، وهي الاستقامة والمعرفة. {ولأجرُ الآخرة أكبرُ} مما يُعجل لهم في الدنيا؛ من سعة الأموال، وتعظيم الشأن والحال، وهو النعيم الدائم "[3]، والتوكل على الله ﷻ لا ينافي الأخذ بالأسباب قال ابن القيم : والله أمر بالقيام بالأسباب فمن رفض ما أمره الله أن يقوم به فقد ضاد الله في أمره، وكيف يحل لمسلم أن يرفض الأسباب كلّها؟)[4]، قال تعالى في قصة الفتية أصحاب الكهف:

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٥/ ١٠٩).

(٢) سورة النحل الآيتان:(٤١ – ٤٢) .

(٣) البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي أبو العباس ، ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت ط٢ / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ (٤ / ٣٤) .

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م ج٣ ، ص ٤٧٨ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[1] وفي حملهم النقود مع صدق توكلهم على الله رد على من يتواكل بحجة التوكل فربما خرج بدون أخذ بالأسباب أو حمل للمال بدعوى التوكل، "وفي هذا دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات"[2]، وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا)[3].

المطلب الثاني: دعوة الإنسان إلى تعمير الأرض .

الإنسان مطالب بصنع الحضارة والعمل على الرقي والتقدم وهذا من مقتضيات الاستخلاف فلقد استخلف الله تعالى آدم وذريَّته في الأرضِ، وأعلم بذلك ملائكتَه الكرامَ قال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[4]، فالإنسان موكَّل بعمارة الأرض مُخَوَّل بريادتِها، فضلا عن كونه جزءا من هذه البيئةِ التي أُمر بحمايتها

---

(١) سورة الكهف الآية:(١٩) .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ (٢ / ٦٦٤) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب الرقاق ـ (٣٥٤/٤) ـ حديث (٧٨٩٤). وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) سورة البقرة (٣٠:٣٣)

ورعايتها؛ فهو مخلوق من الأرض، قد اشتمل تركيبُه على جميع عناصرها، فهو جزءٌ منها وصلاحُه مقترنٌ بصلاحِها وحاضره ومستقبله مرتهن بحاضرها ومستقبلها، وحين يعي ذلك يسعى إلى التدابير الواقية من الأضرار الناتجة عن الإضرار بها قال تعالى قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1]

" المهد السرير للطفل، فهي مهد الأحياء والأموات ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ طرقا بين الأودية والجبال كما في السهل ليتيسر لكم المشي فيها "وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً" فيه حياة كل شيء لكمال المنافع، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ ﴾ بذلك الماء ﴿ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ مختلف اللون والطعم والرائحة والشكل والمنفعة ﴿ كُلُوا۟ ﴾ أيها الناس ما تشهون منها ﴿ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ مما يصلح لها منه ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرته لكم ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ عظيمات ﴿ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ العقول تنهاهم عن عبادة غير الإله الواحد واعلموا أن هذه الأرض التي فيها منافعكم في الدين ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي خلقنا أصلكم آدم، لأنه من ترابها، أو لأن النطفة من الأغذية والأغذية من الأرض، فيشمل خلقكم منها أيضا أو من ضمن خلق آدم، لأن كل فرد من البشر له حظ من خلقه، لأن فطرته لم تقتصر عليه فهو أنموذج منطوٍ على فطرة سائر البشر انطواء الجنس على أفراده انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل، فكان خلقه منها خلقا للكل، يشهد عليه قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[2]،[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

(١) سورة طه الآيات (٥٣ : ٥٥)

(٢) سورة الأنعام الآية:(٩٨) .

(٣) ينظر: بيان المعاني، ملاحويش آل غازى عبدالقادر، الموضوع: على حسب ترتيب النزول، القرن: چهاردهم، مطبعة الترقى، مكان الطبع: دمشق، سنة الطبع: ١٣٨٢ .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءُۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾[1].

فالكون مسخر للإنسان ينتفع به في شتى مناحي الحياة قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[2]، فبين تعالى أنه سخر لنا هذا الكون لمنافعنا ومصالحنا لنزداد إيمانا ويقينا بقدرة الله تعالى ونشكره تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة العامة والخاصة، ونتفكر في آلائه وتتجلى شواهد الوحدانية، ودلائل العظمة سخر الله الشمس والقمر لما فيهما من منافع ومصالح ولطائف على الإنسان والحيوان والنبات والجماد وسخر البحار بما فيها من عجائب وغرائب، وما فيها من أفلاك تجري بمنافع الناس وتقلُّلهم من بلد إلى بلد وسخر الأرض ومهدها للعيش والحياة والحركة والسكون، وسخر الدواب والأنعام وتنمية هذه الحياة وإصلاحها وعمارة الأرض وفق منهج الله لا حسبما تمليه الأهواء المتباينة وتفرضه الشهوات الجامحة تلك التي تطغى على العقول وتطمرها بركام الجهالة وغبار الضلال فخلق الله الكون والإنسان ويسَّر له سبل العيش ومنحه القدرة على التفكُّر والاعتبار، والاستنباط والابتكار وفي هذا التسخير تحقق المنافع للإنسان، فكل إمكانات العيش متاحة له وما عليه سوى أن يعمل لتحصيل

(١) سورة الزخرف الآيات:(٩ : ١٣)

(٢) سورة النحل الآية: (١٢ : ١٣).

منافعها وكل ما في الكون فيه منافع متعددة، ويقتضي هذا التسخير شكر المنعم جلَّ وعلا وحسن التصرف واستغلال هذه النعم وتوظيفها في عمارة الأرض وإصلاحها، والتفكر والتعقُّل والتذكُّر فلولا تسخير الله الكون للإنسان لما انتفع بها ولما أذعن له وانصاع لإرادته، يقطع الجبل ويستخرج المعادن ويحرث الأرض ويروِّض السباع والفيلة ويدجِّن الحيوانات والطيور، ويركب الناقة ويحلبها ويأكل لحمها، ويشتر العسل ويصيد السمك والحيتان وينقل الصخور ويبني البيوت والقصور ويعبِّد الطرق ويشيد الجسور ويبني الأنفاق كل هذا بتيسير الله وفضله.

هذا وللإنسان دوره المنشود في هذا الكون فهو قوة إيجابية، خلقه الله تعالى ليعمِّر ويطوِّر، وليصلح وينمِّي ويبني حضارة، واللهُ سبحانه في عونِه بتسخيرِ كثيرٍ من المخلوقاتِ له ومنحِه كنوزَ هذه الأرضِ وخيراتِها، وهو معانٌ من الله كذلك بما وهبه من القُوَى والاستعداداتِ الذاتية، وهذا يعني "أن الإنسان المسلم في حاجةٍ ماسة لإعادة النظر في سلوكياته وتصرفاته مع البيئة المحيطة به، وما فيها من كائنات ومكونات أخرى، وفق المنظور الإسلامي الصحيح الذي يرسم له منهج حياته، ويحدد له حقوقه وواجباته، ومن ثم يحقق له أهدافه وغاياته"(١)، وأيضاً: رسالة الإنسان في الكون رسالة إصلاح وبهذا أنزل الله الكتب وأرسل الرسل: قال تعالى ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٢)، والأمانة التي تحملها تستوجب عليه عمارة الأرض وبناء الحضارة والرقي بها: قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

(١) التربية البيئية في الإسلام د صالح بن علي أبو عراد – مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والعربية والإنسانية العدد الرابع (٢/ ١١٥) .

(٢) سورة هود الآيتان:(٨٧،٨٨) .

﴿[1]، والأمانةُ تشملُ جميع ما استؤمن عليه الإنسان، فالدين أمانة، والتكليف أمانة، والعلمُ أمانةٌ، والعملُ أمانةٌ، والجوارح أمانة، والزراعةُ أمانةٌ، والصناعةٌ أمانةٌ، وكل حرفةٍ أمانةٌ، والكون كلُّه أمانة، قال الشوكاني: " واختلف في تفسير هذه الأمانة المذكورة هنا، فقال الواحدي: معنى الأمانة هاهنا في قول جميع المفسرين: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب، قال القرطبي: والأمانة تعمُّ جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور" [2]،"وحين نعمل الرؤية الكلية التي بناها القرآن الكريم، نجد الدنيا هي المرحلة الوحيدة، من بين مراحل عديدة ممتدة من عالم الذر والعهد حتى عالم الجنة والنار، التي يجد الإنسان نفسه مكلفا ومسئولا ومستخلفا ومؤتمنا ومبتلًى، وقد سُخَّر الكون كله ليتمكن من القيام بهذه المسئوليات والأعباء الضخمة، وفي كل هذه الأمور هو في حاجة لاستنفاذ طاقاته كلها العقلية والنفسية والبدنية، ليتمكن من القيام، بالجهود ألتي تتطلبها هذه المهام فما من شيء منها إلا وهو في حاجة إلى الإنسان في كينونته وكليته وجميع طاقاته والتحديات التي تطرحها عليه هذه المهام، مهام الاستخلاف والائتمان والابتلاء تحتاج منه ـ للقيام بها ـ على أتم وأحسن وجه بحيث تتحقق غايات الحق من الخلق، وتتقن وتؤدى على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه، وبدون ذلك فإن الإنسان قد يقصر لأنه لا يجد بين يديه كل شيء جاهزا بحيث يمكن أن يقلد فيها ويتابع ويحقق ما يريد بمجرد المتابعة والتقليد"[3]، فرسالة الإنسان في هذا الكون رسالة تعمير وإصلاح وتقدم وتطوير وبناء حضارة والعمل دائما على رقيها .

---

(١) سورة الأحزاب الآية:(٧٢) .

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ (٦/ ٨٤) .

(٣) التفكير الإبداعي ـ د/ طه جابر العلواني ـ إسلامية المعرفة– السنة الحادية عشر – العدد (٤١)، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص٣/٤) .

المطلب الثالث: الإتقان في العمل:

العمل وسيلة إعمار الأرض: فقد سخر الله ﷻ للإنسان كل شيء في هذا الوجود لخدمته، واستمرار وجوده، لذا حث الإسلام على العمل وعلى الإتقان قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾[1]، وقال النبي ﷺ (اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له)[2]، وكان الأنبياء جميعًا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ خير مثال، وخير قدوة يقتدى بهم في العمل، والإحسان والسعي، والإتقان فما من نبي إلا وعمل، واجتهد، وصابر، وثابر، في إتقان العمل لذلك قال سيد المرسلين وإمام الموجهين، والحريص على مصلحة الأمة أجمعين: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)[3] .

وكان الأنبياء جميعا والمرسلون لهم حِرف يرتزقون منها، ويعيشون من خلال الكسب منها " فأما عن آدم أبي البشر عليه السلام فكان حراثا، وأما عن نوح عليه السلام فكان نجارا، وأما عن إدريس عليه السلام فكان خياطا، وأما عن داود عليه السلام فكان زرادا حدادا، وأما عن موسى بن عمران عليه السلام فكان راعيا، وأما عن الخليل إبراهيم عليه السلام كان زارعا عظيم الضيافة، وأما عن شعيب عليه السلام فكان راعيا، وأما عن لوط عليه السلام فكان زراعا، وأما عن صالح عليه السلام فكان تاجرا"[4]، لذلك قال النبي محمد ﷺ (ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده،

---

(١) التوبة جزء الآية (١٠٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب قوله تعالى ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾ ـ (١٧٠/٦) ـ حديث (٤٩٤٥) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب الإجارة ـ باب رعي الغنم على قراريط ـ (٨٨/٣) ـ حديث (٢٢٦٢) .(قراريط) جمع قيراط وهو جزء من النقد وقيل قراريط اسم موضع قرب جياد بمكة.

(٤) الدر المنثور ـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ـ (١/ ١٣٩) ـ دار الفكر – بيروت بدون .

وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)[1]، فمن سنن الله فيها أن يعطي كل عامل متقن نتيجة ثمرة عمله، فالطالب، والمدرس، والصانع، والمزارع والتاجر، والمبتكر يدعوه دينه إلى الإتقان في العمل، وإلى في السعي.

فالإتقان في العمل: سبب للحصول على السعادة والأجر الدنيوي، والثواب الأخروي خاصة إذا سخر العامل عمله لصالح الأمة، فقد ذلل الله ﷻ الأرض للإنسان وأوكل له عمارتها، والعمل فيها بجد وإتقان حتى آخر لحظة من العمر يقول ﷺ:(إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها، له بذلك أجر)[2]، وقد شارك النبي ﷺ أصحابه في الأعمال المختلفة، ولم يتميز عليهم كما حدث في بناء مسجد قباء وحفر الخندق في غزوة الأحزاب، فكان يحمل التراب والأحجار، ولأهمية العمل وفضله أشار القرآن الكريم إلى العديد من الصناعات التي لا يستغني عنها الناس مثل صناعة الحديد، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[3]، وصناعة النسيج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾[4]، والصناعات الحربية قال الله ﷻ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]، وصناعة السفن، والفلك قال تعالى:﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[6]، وغير ذلك من الصناعات الخادمة

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب البيوع ـ باب كسب الرجل وعمله بيده ـ (٥٧/٢) ـ حديث (٢٠٧٢) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيح الأدب المفرد ـ باب اصطناع المال (صـ١٨١) ـ دار الصديق للنشر والتوزيع ـ الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) سورة الحديد جزء الآية (٢٥) .

(٤) سورة النحل: جزء الآية (٨٠).

(٥) سورة سبأ الآيتان(١٠، ١١).

(٦) سورة المؤمنون جزء الآية (٢٧).

للإنسان الهادفة له في حياته والتي أجملها القرآن الكريم في قول الله تعالى:﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1]، ولذلك اعتنى الإسلام بالعمل، لأنه أساس بناء الحضارات ورقيها ولذلك فهو نعمة تستحق الشكر قال تعالى:﴿ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾[2]، فالآية تشير أن ما يتغذى عليه الإنسان هو من كسبه أي" أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم أي: وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا﴿ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ أي: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم مَنْ رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟"[3]، فهذه القدرة التي منحها الله تعالى للإنسان، والعلم الذي وهبه إياه؛ لاستخراج ما في بطن الأرض من الخيرات، والثمرات وإدارة موارد الطبيعة، وحسن توظيفها هو: نعمة عظيمة تستحق الشكر الجزيل، والاعتراف بالجميل، واعتبر الإسلام الإتقان في العمل من الجهاد ينال به المسلم درجة المجاهدين، وشرف المرابطين وقد رأى الصحابة شابا قويا، يسرع إلى عمله فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال النبي ﷺ: (لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغارا، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء، وتفاخر فهو في سبيل الشيطان)[4]، ولذلك، كان الإتقان صبغة الله، وسمة من سماته في خلقه لكل شيء قال

---

(١) سورة طه الآية (٥٠).

(٢) سورة يس الآية (٣٥).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٢٠/ ٥١٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ـ باب الميم ـ من اسمه محمد ـ (٥٦/٧) ـ حديث (٦٨٣٥)، وكذلك الجامع الكبير ـ(١٢٩/١٩) حديث (٢٨٢) ،والسراج المنير للسيوطي ـ كتاب الزكاة ـ باب الترغيب في الصدقة والإنفاق على الأقارب والأرحام ـ (٣٢٤/١) ـ حديث (١٨٤٣) ،

تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[1] أي: "يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع[2]، وفي الآية الأخرى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[3] أي:" أتقن كل شيء خلقه"[4]، فالإتقان الإلهي: هو كمال الخلق على الوجه الذي أراده ﷻ، وهو صفة من الصفات التي وصف الله بها نفسه، فالناظر في هذا الكون الفسيح يرى أن الله ﷻ أبدع الكون حولنا بدقة وإحكام، وجعله بديعا في هيئته، ووظيفته على حسب ما تقتضيه حكمته ﷻ، يتجلى إتقانه لهذه المخلوقات دون نقص أو خلل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[5].

لذلك دعا الإسلام إلى الإتقان في العمل، والإبداع فيه وجعل لمن يتقن العمل أطيب الجزاء، فأوجب الله على كل إنسان إذا أراد أن يقوم بعمل معين، فعليه أن يتقن هذا العمل وأن يبتغي من ورائه وجه الله ﷻ ورضاه، فقد قال ﷺ مخاطبا الناس

والهيثمى في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ كتاب النكاح ـ باب النفقات ـ (٣٢٥/٤) ـ حديث (٧٧٠٦) ، والشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ـ كتاب البيوع ـ باب الترغيب في الاكتساب بالبيع وغيره ـ (٣٠٦/٢) ـ حديث (١٦٩١)، وحكم عليه بأنه حديث صحيح لغيره، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وكذلك قال الهيثمى.

(١) سورة النمل جزء الآية (٨٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ (٦/ ٢١٧) .

(٣) سورة السجدة جزء الآية (٧).

(٤) تفسير مجاهد ـ أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) ـ (صـ: ٥٤٤)ـ تحقيق ـ الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .

(٥) سورة الملك الآية (٣).

أجمعين: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، ففي هذه الآية دلالة واضحة على ضرورة إتقان العمل، والإبداع فيه فالإنسان يعمل في هذه الدنيا والله ﷻ يشاهده، ويراه وسوف يرى أثر ذلك العمل الذي يعمله الإنسان يوم القيامة، النبي ﷺ والمؤمنون أيضا، وقد حثت السنة النبوية المطهرة على إتقان العمل، والإخلاص . فيه بجد وإبداع في عدة أحاديث بلفظ الإتقان والعمل الصالح، والسداد، والعمل الدائم منها ما جاء عن عائشة ــ رضي الله عنهاــ قالت قال رسول الله ﷺ:(إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) [2]."وما من شك أن الأعمال الصالحة المتقنة: ترفع صاحبها عند الله وعند الناس؛ فيزداد بها علوا ورفعة" [3]، والإتقان في العمل يؤدي إلى رقي البشرية آحادا وجماعات، وعليه تقوم الحضارات، وتعمر الأرض، وتثرى الحياة، ويرقى به في مرضاة الله؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه. فإتقان العمل سبب في رقي المجتمعات، ووصولها إلى أعلي درجات الرقي الحضاري، وقد حذر المولى سبحانه وتعالى من عدم الإتقان، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [4].

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٥) .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ـ باب الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها ـ (٢٣٢/٧) ـ حديث (٤٩٢٩) ، وأبو يعلى في مسنده ــ مسند عائشة رضي الله عنها ــ (٣٤٩/٧) ــ حديث (٤٣٨٦)، وحكم عليه محققه بأن إسناده لين ، والطبراني في الأوسط ــ (٢٧٥/١) ــ حديث (٨٩٧)، وصحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني ـ (٣٨٣/١) ــ حديث (١٨٨٠) وقال حديث حسن .

(٣) أوضح التفاسير ـ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) ـ (١/ ٥٣٠) ـ المطبعة المصرية ومكتبتها ـ الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م .

(٤) سورة الأنفال الآية (٢٧) .

المطلب الرابع: اغتنام الوقت .

جاء القرآن الكريم بآيات كثيرة تدل علي قيمة الزمن، وعظم الوقت، ومن ذلك؛ أن الله ﷻ أقسم به في مواطن كثيرة في كتابه، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ [1] وقوله تعالي: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ ﴾ [2]، وقوله تعالي: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾ [3]، وقوله تعالي: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ ﴾ [4]، وقوله تعالي:﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [5]، وقوله تعالي: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ ﴾ [6].

حيث نلاحظ من هذه الآيات؛ أن الله ﷻ أقسم بالوقت ممثلا في بعض أجزائه فالليل صنو النهار، والفجر أول النهار، والشفق أول الليل والضحى ما بين الغدو والزوال، ومن المعلوم أن العظيم ﷻ لا يقسم إلا بعظيم؛ فعندما يقول الله ﷻ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ ﴾ يدل على أن الدهر، والزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم به ونبه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف، فلما كان كذلك كان القسم بالعصر قسما بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته.[7] .

---

(١) سورة العصر الآيتان (١، ٢).

(٢) سورة المدثر الآيتان (٣٣ ،٣٤).

(٣) سورة التكوير الآيتان: (١٧ ، ١٨).

(٤) سورة الفجر الآيتان (١ ، ٢).

(٥) سورة الضحى الآيتان (١ ، ٢).

(٦) سورة الانشقاق الآيتان (١٦ ، ١٨).

(٧) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ـ (٢٧٧/٣٢).

فالوقت عظة واختبار، ويتجلَّى ذلك في تعاقب الجديدين وتقلُّبِهما أعنى الليل والنهار، وفي ذلك من الاتعاظ والاعتبار ما يدل على أهمية الوقت، قال تعالى في سورة النور ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[1]، فأعلى الفكر "وأجلُّها وأنفعُها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع، .....، وذكر منها: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهمّ كله عليه، فالعارفُ ابنُ وقتِهِ، فإن أضاعه ضاعتْ عليه مصالحهُ كلُّها، فجميعُ المصالحِ إنما تنشأُ من الوقتِ، فمتى أضاعَ الوقتَ لم يستدركْهُ أبداً "[2].

ولذلك أكد القرآن الكريم على أهمية الوقت مرارا، وفي سياق مختلف، وبمعانٍ متعددة؛ منها الدهر والحين واليوم، الأمد، الخلد، العصر، وغير ذلك من الألفاظ الدالة علي مصطلح الوقت فالوقت من أصول النعم التي أنعم الله بها علي عباده قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [3]، ونعمة الوقت أصل من أصول تلك النعم، فالوقت هو: "المعيار الذي يقاس به حقيقة الوجود الإنساني، من حيث كم الأعمال والمنجزات التي تتحقق فيه، وبقدر تمكن الإنسان من ترك بصمات في هذا الوجود يرقى في سلّم الكمال، وتكتب له الذكرى بعد أن لم يكن شيئا مذكورا، كأن الذكرى في سباق العدم، وكأن الإنسان بين مطرقة العدم، وسندان الوجود، فإما أن يحكم على نفسه بالعدم حين يمتطي هوى نفسه في الحياة، ويفني عمره، ووقته في إتباع الشهوات، وإما أن يسطر خلودا مشرفا بأعماله الصالحة؛ تبقي ذكراه في الملأ الأعلى إلى قيام الساعة، بل في الحياة الآخرة كذلك، ولما كانت الدنيا دار فناء لا تتسع لتحقيق رغبات الإنسان، وتلبي هذا الجانب فيه؛ فقد وعد الله الإنسان بالخلود في الجنة؛ إن أفنى عمره

---

(١) سورة النور الآية:(٤٤) .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

(٣) سورة النحل الآية: (١٨) .

ووقته في الطاعة، والعمل الصالح، أو الخلود في النار إن أفنى ذلك العمر، والوقت في اللهو واللعب"[1]، ولقد ربى النبي ﷺ الصحابة الكرام، علي إدراك قيمة الوقت، وسار على هديهم التابعين وأصحاب الهمم العالية؛ فبنوا حضارات في شتى المجالات، سجلها التاريخ وسطرتها كتب السنة؛ لأنهم كانوا حرصين على عمارة أوقاتهم، بالعمل الدائب، وما كان يمر اليوم، أو بعضه، أو البرهة من الزمان، دون أن يتزودوا منها بعلم نافع، أو عمل صالح، كما ذكرت السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تدل على قيمة الوقت والحرص عليه، وعدم إضاعته، وتبين أنه ينبغي على المؤمن المكلف أن يُحْسِن إدارة الوقت واستغلال كل دقيقة منه، وجعله الحقل الخصب الذي يبني فيه حضارة .

ولذلك كان النبي ﷺ كان دائما يدعو إلى استثمار الوقت، وكان دائماً يأمر بملئ الزمن بالحركة الفاعلة والنبض الخافق، والطاقة المتجددة قبل أن تداهم المسلمَ الخطوبُ، فيقول النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[2]، وهذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه تحدث عن أهمية الوقت والمبادرة إلى اغتنامه وإدراك قيمته واستثمار قوة الشباب، واغتنام الفراغ في العمل الصالح المفيد والحذر من مضيعات الأوقات، وقال النبي ﷺ، أيضا:(بادروا بالأعمال سبعا هل تنظرون

(١) ينظر: صيقل الإسلام لبديع الزمان ـ سعيد النورسي ـ (المتوفى١٩٦٠م) ـ (صـ ٥٥) ـ ترجمة سعيد الصالحى ـ سوزلر للنشر ـ استانبول ١٩٩٥م بدون ، بتصرف واختصار .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب الرقاق ـ (٣٤١/٤) ـ حديث (٧٨٤٦) ـ وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الإمام الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣/٧) ـ حديث (١٠٢٤٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الزهد ـ باب ما ذكر عن نبينا صلى الله عليه وسلم ـ (٧٧/٧) ـ حديث (٣٤٣١٩) .

إلا إلى فقر منس، أو غنى مطغ، أو مرض مفسد، أو هرم مفند، أو موت مجهز، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)[1] .

ولذلك فإن صناع الحضارات يعرفون قيمة الوقت ويستخدمونه، ويوظفونه توظيفا صحيحا في التفكير والتخطيط وتقديم الحلول الموضوعية، وحل المشكلات المعضلة ومدركاً بأن "الوقت سيف، فإنْ قطعته، وإلاّ قطعك"[2] .

فالوقت: عمر الإنسان في الحقيقة" وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضّنْك في العذاب الأليم وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله؛ فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم. فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو، والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة؛ فموت هذا خير له من حياته "[3]، فإذا أدرك الإنسان قيمة وقته، حقق النجاح والطموحات وبنى الحضارات ، ووصل إلى النتائج المرجوة وأنجز الأعمال الكبيرة في وقت محدد وحصد الثقة بالنفس والشعور بالرضا والإحساس بقيمة الحياة وروعتها والشعور بالمسئولية ونفع الأمة بعمله .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ـ كتاب الزهد عن رسول الله صل الله عليه وسلم ـ باب ما جاء في المبادرة بالعمل الصالح ـ (٤/٥٥٣) ـ حديث (٢٣٠٦) ، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣٥٦) ـ حديث (٧٩٠٦) وقال صحيح على شرط الشيخين ـ والطبراني في الأوسط (٤/١٩٢) حديث (٣٩٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٥٧) حديث ١٠٥٧٢) .

(٢) الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ـ (١/ ٣٥٨). مرجع سابق

(٣) الداء والدواء (١/ ٣٥٨،٣٥٩)، مرجع سابق .

المبحث الثاني: من قيم الارتقاء الحضاري في ضوء القرآن الكريم :

المطلب الأول: العدل.

العدل أساس الملك ونبراس التقدم والازدهار والنهوض الحضارة وسياجها، وتاجُها ومنهاجُها، لا يمكن أن نتصور حضارة بدون عدل، ولا تنهض الأمم إلا بإقامة العدل، ولا تحرس المدائن والحواضر والقرى والبراري والبوادي إلا بالعدل، به قامت السموات والأرض، وله تنصب موازين القسط قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[2] .

"إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام لله تعالى بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبه الرب وجعل له قيما، وهو الملِك" [3] .

فالعدلُ خلقٌ حميدٌ ومسلكٌ في الإسلام دعا إليه القرآن في عهد الدعوة الأول وقبل أن تقوم للإسلام دولة، ويصبح له كيانٌ، وأمر به حين تحقق النصر والتمكين، ففي السور المكية آياتٌ كثيرةٌ تحثُّ على العدل، وكذلك في السور المدنية؛ ذلك أن العدلَ واجبٌ في كافة الأمور وسائر الأحوال.

---

(١) سورة الأعراف الآيتان:(٨ – ٩) .

(٢) سورة الأنبياء الآية:(٤٧) .

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبو الحسن على بن الحسين المسعودي (المتوفى: ٣٤٦ هـ) – تحقيق: أسعد داغر – دار الهجرة –١٤٠٩ هـ – (١ / ١٠٩) .

والعدل: "أمر تقتضيه الحضارة والعمران والتقدم، وتشيد به كل العقول، وأصل من أصول الحكم في الإسلام، ولا بد للمجتمع منه حتى يأخذ الضعيف حقه، ولا يبغي القوي على الضعيف، ويستتب الأمن والنظام، وأجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه من الولاة والموظفين والقضاة التزام العدل، حتى تصل الحقوق لأهلها"[1]، قال تعالى في سورة النحل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

قال الحسن: إن الله تعالى جمع الخير كله والشر كله في هذه الآية وقال إن استقامة الملك بالثلاثة المأمور بها في الآية واضطرابه بالثلاثة المنهي عنها فيها"[3]، وفي سورة الأنعام يقول ﷻ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[4]

فالعدالةُ أساسُ دعوة الأنبياء والرسل – عليهم السلام – قال تعالى:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾[5] .

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي –: دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ – (٥/ ١٢٤) .

(٢) سورة النحل الآية:(٩٠) .

(٣) المنهج المسلوك في سياسة الملوك – عبد الرحمن بن نصر، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ) – تحقيق: علي عبد الله الموسى – مكتبة المنار – (١ / ٢٤٢) .

(٤) سورة الأنعام الآية:(١٥٢) .

(٥) سورة الحديد الآية:(٢٥) .

يقول صاحب كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك: " واعلم أن العدل لا يتحقق من الملك إلا بلزوم عشر خصال: أحدها: إقامة منار الدين وحفظ شعائره والحث على العمل به من غير إهمال له ولا تفريط بحقوقه، الثاني: حراسة البيضة والذب عن الرعية من عدو في الدين أو باغٍ في النفس والمال، الثالث: عمارة البلدان باعتماد المصالح وتهذيب السبل والمسالك، الرابع: النظر في تعدي الولاة وأهل العز من الأعوان على الرعية، الخامس: النظر في أحوال الجند وغيرهم من أهل الرزق لئلا تبخسهم العمال أرزاقهم أو يؤخرون العطاء فيجحف الانتظار بهم، السادس: الجلوس لكشف المظالم والنظر بين المتشاجرين من الرعية والفصل بينهم بالنصفة على وجه الشرع، السابع: تقدير ما يخرج من بيت المال على طبقات أربابه من غير إسراف ولا إقتار، الثامن: إقامة الحدود على أهل الجرائم بالشرع المطهر على قدر الجريمة، التاسع: اختيار خلفائه في الأمور وولاته وقضاته وعماله بأن يكونوا من أهل الكفاية والأمانة والحذق والدراية فيما هم بصدده، العاشر: تنفيذ ما وقف من أحكام القضاة وأهل الحسبة وما عجزوا عن تنفيذه لقوة يد المحكوم عليه وتعززه فينفذ الملك ما حكموه عليه بالشرع، فإذا فعل الملك هذه العشر خصال كان مؤديا لحق الله تعالى في الرعية بالعدل الذي أمر الله تعالى به، وكان مستوجبا لطاعتهم ومستحقا لمناصحتهم، وإن ترك شيئا من ذلك كان عن العدل ناكبا وفي الجور راغبا"[1] .

ولذلك فالعدل أساس الملك، وميزان الحكم بين الناس ومنبع الحضارات وازدهارها به يأمن الإنسان على نفسه وماله وولده، ويتحقق الطمأنينة والأمن والاستقرار في المجتمعات فهو سبيل الرقي والتحضر، فما قامت الحضارات إلا بالعدل والسير على منهج الله، وما انهارت الحضارات إلا بعدم إقامة العدل والبعد عن منهج الله .

(١) المنهج المسلوك في سياسة الملوك – (١ / ٢٤٩) – مرجع سابق .

المطلب الثاني: الحرية والشورى .

تعتبر الحرية من أهم القيم الحضارية وذلك أن الإسلام في تشريعاته أرسى دعائم الحرية ومبادئها فقد حرر الإنسان من أسر الشّهوات، ومن أغلال الجاهليّات، وحرر العقل من الفلسفات المادّيّة، والمذاهب الهدامة، والدّيانات الوضعيّة التي تُقيّد العقل، وتُعطّله، أو تُطلق له العنان بلا ضابطٍ، أو ميزان، كما حرر القلب من الهمم الدنية، وطهره من كُلّ الشّوائب والأكدار، والأهواء، وتجليته من الصدأ والرّان، وتحرير الجسد من أسر الشّهوات وهيمنتها، فالحرية في الإسلام من المقاصد الشرعية، والمبادئ الأساسية التي أرساها الإسلام، فلا سبيل إلى حضارة حقيقية بدون حرية، والحرية في الإسلام حق للفرد، وحق للمجتمع، وهي ليست حرية مطلقة، ولكنها منضبطة منظمة، بحيث لا تصطدم بحرية الآخرين، كما أنها موصولة بجملة من القيم كالعزة والكرامة، والأمن والسلامة والمساواة والعدالة، والعفة والطهارة، وغيرها من القيم السامية، والمقاصد الحسنة التي جاء بها الإسلام الحنيف، في كل عصر ومصر، ومن صور الحرية التي منحها الإسلام للإنسان: حريةَ العقيدةِ وحريةَ التعبيرِ، وحريةَ الرأيِ، وحريةَ الكلمةِ، وحريةَ إصدار القرار، وحريةَ التقاضي والشكوى، وحريةَ التنقلِ، وحريةَ الهجرةِ، وحريةَ التصرفِ في الملكية الخاصة والتأهيل الفردي، وحريةَ الاختيارِ، وغيرَها من الحريات التي أقرها الإسلام وشرحها القرآن ونادى بها المخلصون لربهم ولدينهم؛ إنها الحرية التي تجعل الإنسان لا يحاسب إلا على ما قدمت يداه، ولا يعاقب إلا على ما فكر ودبر، وقد تجلى كل تلك المعاني، في القرآن الكريم قال الله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، "أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح جلي دلائله، وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على نور واضح، ومن ختم الله على

(١) سورة البقرة الآية: (٢٥٥).

قلبه وسمعه، وبصره؛ لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا"[1]، وقال الله جل شأنه ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [2]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[3]، فهي أي : الحرية ما يشعر به المخلوق في هذا الوجود فهي دائما ملازمة لكرامته الإنسانية، حيث أقر الإسلام مبدأ الحرية في أسمى مظاهرها، وأجلى معانيها.

فقد جاء الإسلام ليحطم القيود والأغلال التي صنعتها الأساطير والأوهام؛ ليتحرر الإنسان من المذلة والهوان حيث دعوة التوحيد والعبودية الخالصة لله ﷻ، والتحرر من عبادة الأشجار والأحجار والنيران وغيرها من المخلوقات قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[4]

جاء ليتحرر الإنسان من عبادة الحاكم والأحبار والرهبان قال تعالى:﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5] .

جاء بتخليص الإنسان من عبودية المال والشهوات قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ

---

(١) تفسير القران العظيم لابن كثير – مرجع سابق: (١/ ٥٢١) .

(٢) سورة الغاشية الآيتان(٢١ ، ٢٢).

(٣) سورة يونس الآية:(٩٩) .

(٤) فصلت الآية:(٣٧) .

(٥) سورة التوبة الآية:(٣١) .

ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[1]، " وكانت النتيجة الطبيعية لعقيدة الإيمان بخالق الكون والإنسان ثورة الإنسان على كل عبودية، ثورته على نفسه ليسيطر على أهوائها، وثورته على الملوك المستبدين من القياصرة والأكاسرة، وانتشار الوعي في الشعوب جميعا ذلك الوعي القائم على عبادة الله وتعظيمه وحده التعظيم المطلق والنظر إلى جميع الناس ومنهم كبراء الدنيا وملوكها نظرة لا خضوع فيها ولا خوف"[2]، ولذلك فإنه لا يُتصوّر وجود حضارة إلا بوجود معنى حقيقي للحرية

ويفهم مما سبق أن الحضارة قرينة الحرية، فالحرية من القيم الحضارية التي لها دور كبير في ازدهارها ورقيها .

والشورى: رُكنٌ هامٌّ من أركان الإسلام، ومقصد كريمٌ من مقاصده، ولها مجالاتها المُتعدّدة في الأمور التي لم يرد فيها نصّ من كتابٍ أو سُنّة، أمّا ما ورد فيه نصّ فلا مجال للتّشاور والاجتهاد فيه، لأنّه لا اجتهاد مع نصّ، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[3]، وجاء عن ابن سيرين– ﷺ–، قال: إن كان عمر ﷺ ليستشير في الأمر، حتى إن كان ليستشير المرأة، فربما أبصر في قولها، أو الشيء يستحسنه فيأخذ به[4]، وعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَان ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْحَزْمُ؟ قَالَ: (أن تشاور ذا رأي، ثم تطيعه)[5].

---

(١) سورة آل عمران الآيتان:(١٤ – ١٥) .

(٢) نحو إنسانية سعيدة د. محمد المبارك رحمه الله – دار الفكر بيروت – ١٣٨٩ هـ الطبعة الثانية– ص ٥٥

(٣) سورة الحجرات الآية:(١) .

(٤) أورده البيهقي في السنن الكبرى – كتاب آداب القاضي – باب من يشاور – (١٠/ ١٩٣) حديث:(٢٠٣٣٢).

(٥) أورده البيهقي في السنن الكبرى– كتاب آداب القاضي – باب من يشاور – (١٠/ ١٩١) حديث:(٢٠٣٢٠)

فكيف إذا طبّق المُسلمون مبدأ الشّورى تطبيقا عمليّا، فاجتمعت كلمتهم وطابت نُفوسهم وتحقّق العدل بينهم، وفاضت بينهم روح المودّة والمحبّة والإخلاص والتّضحية والولاء والانتماء، وكان التّرابط التّام والانسجام بين المحكومين والحُكّام .

المطلب الثالث: الإحسان، والصدق.

الإحسان من القيم الحضارية التي أقرها القرآن الكريم وهو من أخلاق أهل الإيمان ومراتبهم التي يتزلفون بها إلى الرحمن، وهو من أسباب النهوض والرقي لما فيه من خيرٍ وصلاح وجود، وهو شريعة الله في السابقين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١).

ومن الآيات الجامعة لشتى ميادين الإحسان قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٢) .

حيث شمل الإحسان القريب والبعيد والحر والمملوك والمؤمن والكافر والغريب والخادم.

والإحسان ليس مجرد ادعاء أو شعارات بل هو خلق كريم وسلوك عملي قويم قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾(٣)، والإحسان من منطلق شكر الله تعالى على إحسانه قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ

(١) سورة البقرة الآية:(٨٣) .

(٢) سورة النساء الآية:(٣٦) .

(٣) سورة النساء الآيات:(٦٢ – ٦٣) .

﴿ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1]، والإحسان لا جزاء له إلا الإحسان قال تعالى ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[2]، والإحسان يعني مراقبة الله تعالى في الأقوال والأعمال، ويعني الدقة والإتقان للعمل وتحري الصواب فيه، كما يعني إسداء المعروف وإيصال الخير دون انتظار مقابل وحين تنتشر هذه الخصال المحمودة في المجتمع فإنه يرتقي إلى أعلى المراتب ارتقاء ماديا وروحيا، سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾[5]، إن أية حضارة، تمر بمراحل ثلاث: المرحلة الأولى: هي مرحلة الفكرة، مرحلة الإيمان بالهدف، الذي يملأ على الإنسان نفسه، ويشكل له هاجسا دائما، وقلقا سويا، ويدفعه للعطاء غير المتناهي، والتضحية في سبيل ذلك، وقد سُئِلَ الفُضَيْلُ بن عِياض – رحمه الله – عن "أحسنِ العمل" فقال: هو أخلصُه وأصوبُه، قالوا: يا أبا عليّ، ما أخلصُهُ وأصوبُه ؟ فقال : إنّ العملَ إذا كان خالِصا وإن جانب الصواب لم يُقْبَل، وإذا كان فيه صواب لكنه ليس فيه إخلاصا لم يُقْبل، حتى يكونَ خالصا صوابا. والخالِصُ أن يكونَ لله، والصّوابُ أن يكونَ على السّنّة. ثمّ قرأ قولَهُ تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[6]،[7] .

---

(١) سورة القصص الآية:(٧٧) .

(٢) سورة الرحمن الآية:(٦٠)

(٣) سورة هود الآية:(٧) .

(٤) سورة الكهف الآية:(٧)

(٥) سورة الملك الآية:(٢) .

(٦) سورة الكهف الآية:(١١٠).

(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور– مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م (٩ / ٣٥٦) .

والصدق: سياج أمان ورباط متين للتعامل بين الناس، وهو من صفات المؤمنين المخلصين، فالصادق يصدق مع الله فيحسن العمل ويجوّده، يصدق في تعامله مع الناس، وبالصدق يحيا الإنسان حياة طيبةً ويعيش عيشة صافية راضيةً، وينال محبة الله تعالى وثقة الناس ومحبتهم وبالصدق يبلغ الإنسان أعلى المراتب في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي: "(يا أيها الذين آمنوا)، بالله ورسوله(اتقوا الله)، وراقبوه بأداء فرائضه، وتجنب حدوده(وكونوا)، في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة (مع الصادقين)، في الجنة. يعني: مع من صَدَق اللهَ الإيمانَ به، فحقَّق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذِّب قيلَهم فعلُهم"[(١)]،﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[(٢)]، وقال تعالى ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[(٣)]، فالصدق: "أن لا يكون فى أحوالك شوب ولا فى أعمالك عيب ولا فى اعتقادك ريب. ومن أمارات الصدق فى المعاملة وجود الإخلاص من غير ملاحظة مخلوق، وفى الأحوال تصفيتها من غير مداخلة إعجاب، وفى القول السلامة من المعاريض، وفيما بينك وبين الناس التباعد من التلبيس والتدليس، وفيما بينك وبين الله إدامة التبري من الحول والقوة بل الخروج عن الوجود المجازى شوقا إلى الوجود الحقيقي وأعد للكافرين المنكرين على هذه المقامات المعرضين عن هذه الكرامات عذابا أليما من الحسرات والغرامات"[(٤)].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (١٤/ ٥٥٨) .

(٢) سورة المائدة الآية:(١١٩) .

(٣) سورة الأحزاب الآية:(٢٣) .

(٤) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت(٧/ ١٤٣) .

من خلال ما سبق يمكن القول إن الصدق من أهم القيم الحضارية التي جاء بها القرآن الكريم وحث عليها في العديد من الآيات .

المطلب الرابع: التعاون والتنافس:

من القيم الإنسانية الرائعة والأسس الحضارية الرصينة التعاون الإنساني، فالتعاون ضرورة من ضرورة الحياة ولولاه لما استقامت، فالإنسان لا ينهض وحده بكل متطلبات الحياة بل جعل الله الناس متفاوتين متفاضلين ليكمل بعضهم بعضا، ويخدم بعضهم بعضا، هذا على مستوى الأفراد والشعوب، كذلك على مستوى الأمم، قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1] والتعاون بين البشر من فطرة الله التي فطر الناس عليها، يقول ابن خلدون في مقدمته: "الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكَنّ وغير ذلك وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيّء لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح أخراه"[2].

فاللبنات المتناثرة هنا وهناك لا قيمة لها لكن حين يبنى بها جدار فترى البنيان مرصوصا تدرك أهمية التماسك ومتانة الترابط وقوة التعاون قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[3]، وتلك صورة من صور التعاون في حالة الحرب، وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ

---

(١) سورة الزخرف الآية:(٣٢) .

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر – عبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ) – تحقيق: خليل شحادة – دار الفكر، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م– (٤٢٩/١) .

(٣) سورة الصف الآية:(٤) .

بَعْضُهُمْ) بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2]، بالتّعاون والتّضامن بنى ذو القرنين أعظم سدٍّ عرف في حضارة التاريخ قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾[3]، وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ فقال: هو أن تعمل به وتدعو إليه وتعين فيه وتدل عليه[4] .

وقال ابن القيم – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ الآية حيث "اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين: واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله"[5]، ثم بيّن أهمية التعاون على البر والتقوى وأنه من مقاصد اجتماع الناس فقال: "والمقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم هو التعاون على البر والتقوى، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علما وعملا، فإن العبد وحده لا يستقلُّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه؛ فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب المظالم – باب نصر المظلوم –(١٢٩/٣) – حديث(٢٤٤٦) .

(٢) سورة المائدة الآية:(٢) .

(٣) سورة الكهف الآيات:(٩٥ – ٩٧) .

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء– أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) – السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م – دار الكتاب العربي – بيروت – (٧ /٢٨٤) .

(٥) زاد المهاجر إلى ربه – محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – تحقيق: د. محمد جميل غازي – مكتبة المدني – جدة (٦، ٧) .

بعضه ببعضه معينا بعضه لبعضه"[1].

فالتعاون من أصول البناء والتواصل الحضاري بين الأفراد وبين الأمم والشعوب .

التنافس: وأما عن التنافس من القيم الحضارية التي ذكرها القرآن الكريم "فليس عجيبًا أن يفوق امرؤ أخاه في علمٍ، أو خبرة، أو في أي مجال من مجالات الحياة، كما أنه ليس من المستهجَن أن يسعى الأدنى للحاق بالأعلى، وأن يبذل جهدَه للتفوق عليه، في حدود ابتغاء رضا الله، والسلامة من آفات الكبر، والعُجْب، والرياء وبقيد طهارة المشاعر القلبية، ونقاء العلاقات الأخوية"[2].

لذا دعا الإسلام إلى التنافس، والتسابق، والتسارع إلى فعل الخيرات والطاعات والقربات؛ وبين ﷻ أنه ميدان مفتوحٌ للجميع، وبه يحصل الإنسان على الجائزة الكبرى، وهي الفوز بجنات واسعة تتسع لكل المسارعين، والمنافسين في الخيرات، دلّ على ذلك نصوص كثيرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة؛ قال تعالى:﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[3].

وقال ﷻ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[4]، وقال ﷻ بعد وصف عباده الصالحين الذين يقومون بالأعمال الصالحة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[5]، وأمرنا الله بالمنافسة، والتسابق في الخيرات، فقال في محكم التنزيل :﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[6]،ودعا الله

---

(١) زاد المهاجر إلى ربه – (ص ١٣)، مرجع سابق .

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ــ أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ) ـ (صـ: ٢٠١) ـ دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ــ الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ .

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٣٣) .

(٤) سورة الحديد الآية: (٢١) .

(٥) سورة المؤمنون الآية:(٦١) .

(٦) سورة البقرة جزء الآية: (١٤٨) .

إلى التنافس فقال تعالى:﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾: أي فليستبق في تحصيل ذلك المتسابقون، وأهل التنافس: التغالب في الشيء النفيس، وأهله في النفيس لعزّتها وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريده كل واحد لنفسه والمنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل، واللحوق بهم، وهي بهذا المعنى من شرف النفس، وعلو الهمة[١]، والتنافس: "أن يَنفِس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه، وهو مأخوذ من الشيء النفيس وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، وتطلبه وتشتهيه، وكان معناه في ذلك. فليجدّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم"[٢].وقال ﷻ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٣]، فالسابقون هم الذين يتسابقون في الدنيا إلى الخيرات، حتى يسبقوا في الآخرة إلى الجنات، قال ابن القيّم – رحمه الله–: "السَّابِقُونَ في الدُّنْيا إلى الخَيْراتِ هُمْ السَّابِقُونَ يومَ القَيامةِ إلى الجنَّات". [٤]، فإسلامنا "دينُ المحبّة، والوئام ، دين التّعاون، والتّضامن يُغلق أبواب الصراع، ويفتح أبواب التّنافس إلى الخيرات، والتّسابق إلى المغفرة والجنّات، والتعاون على البر، والتقوى، مِضمار فسيح وميدان رحيب، يتّسعُ للجميع فالقاعدة التي نبني عليها علاقاتنا، وتعاملاتنا في هذا الكون، التنافس المحمود الذي يذكي شعلة الجدِّ، والعمل ويثير العقول، ويحفز الهمم نحو المعالي"[٥]، من خلال ما سبق نخلص: أن التنافس من أفضل القيم الحضارية .

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانيـ شهاب الدين الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ـ تحقيق: علي عبد الباري عطيةـ دار الكتب العلميةـ بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ـ محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ـ تحيق: أحمد محمد ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ـ (٢٤/ ٢٩٩)

(٣) سورة الواقعة الآيات: (١٠ :١٢).

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ـ مطبعة المدني، القاهرة ـ (صـ١١٥) – بدون.

(٥) ينظر: مؤتمر السيرة النبوية الخامس بعنوان المجتمع المسلم. لسنة ٢٠١٣م ـ د/ أحمد محمد الشرقاوي سالم ـ الجامعة الإسلامية جنوب البنجاب .المملكة العربية السعودية ـ (صـ٤٣).

المبحث الثالث: نماذج قرآنية للارتقاء الحضاري في ضوء القصص القرآني

المطلب الأول: الارتقاء الحضاري في ضوء قصة ذي القرنين .

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾[1] رجل صالح مكّن الله له في الأرض ووهبه أسباب النصر والتمكين وأصول السياسة وفنون التدبير فأحسن استغلال هذه المنح والمواهب على أتمّ وجه، بل جعلها ركيزة ومنطلقا إلى ريادة الكون بالعلم والإيمان، والعدل والإحسان، مكّن له صاحبُ العظمة والسلطان تمكينا عظيما في أنحاء المعمورة، وآتاه من الأسباب ما يحتاج إليه في توطيد ملكه وبسط سلطانه وكبتِ أعدائِهِ وتحقيق مراده، والسبب: هو الوسيلة التي يُتوصَّل بها إلى المطلوب، قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ عِلْما يتسبب به إلى ما يريد، وقيل: هو العِلْم بالطُّرق والمسالك[2].

---

(١) سورة الكهف الآيات: (٨٣ :٩٨).

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٥ / ١٨٥، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م،(٣/١١٦٠) .

ومن الدروس الحضارية المستنبطة من هذه القصة ما يلي:

١- الوصول إلى المقصود بكل السبل: قال تعالى:﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: سلك وسار طريقا يوصلُهُ إلى المقصود، وأخذ بكلّ ما أمكن تحصيله من علومٍ، وتتبع السبل والوسائل التي تعينه على تحقيق أهدافه وطموحاته في إنشاء الحضارة والإصلاح ونشر العدالة والرحمة في شتى الأرجاء، فلم يكن ما قام به ذو القرنين من خوارق العادات بل كان تمكينه من منطلق الأخذ بالأسباب، وفق نواميس الكون، حيث هداه الله للأسباب ووفقه إليها،﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ بلغ بجنوده أقصى الغرب مستعينا بما هيأه الله له من أسبابٍ، حتى شاهد غروبها ﴿ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ عين ماء ذات حمأة ، وقرئ ﴿ فِي عَيۡنٍ حَامِيَةٖ ﴾ يعني أنها تغرب في عين ماء حارّة[1]، تلك إشارة إلى نظر المؤمن وتمتعه بجمال الكون وروعته فللنظرة الجمالية انعكاسها على جمال الحضارة .

٢- العدل والقسط والإحسان في الحكم: قال تعالى:﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴾: لما تمكن منهم ، وخُيِّرَ في شأنهم : كان حَكَمَا مقسِطا، إذ حكم على من بقي على الظلم بالعذاب، وعلى من اختار طريق الهداية بالخير والإحسان، " فقال ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ ذكر جزاء الله له في الآخرة ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ ﴾ أي الجنة، ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴾ أي:" لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه، أي قولاً ذا يسر وسهولة كما قال قولا ميسورا، ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه

(١) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م (٤/ ١٣).

بالفعل بل اقتصر على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلا وقولا"[1] .

وفي تخيير ذي القرنين –رحمه الله– بين أن يعذبهم وبين أن يتخذ فيهم حسنا، ما يدل على ما كانوا عليه من ظلمٍ بيّنٍ، وصدٍّ عن الحق، مما يستوجبُ معاقبتَهم، وفي هذا ما يرشدُ إلى وجوب مجابهة الظالمين وكفِّهم عن ظلمهم، وجاء التعبير بسوف: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ للدلالةِ على إمهاله لهم حتى تقام عليهم الحجج، فإن هم أصروا على كفرهم وظلمهم فقد استوجبوا العقاب، وقوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي يوم القيامة فيعذبه العذاب الشديد الأليم، الذي يحارُ العقل في أمره ، لأنه لم ير مثله ولا قريباً منه ليعتبره به" [2].

٣– إيجاد الكرامة في الاستقامة : قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وأما من تاب وآمن وعمل صالحا فله الحسنى جزاءً، أي يستحقُّ البشارةَ بها فضلا عن حسن معاملته في الدنيا، وسنقول له من أمرنا يسرا : فهو أهلٌ لكلِّ فضل وسماحةٍ " فالمؤمن المستقيم يجد الكرامة والودَّ والقربَ من الحاكم العادل، ويكون من بطانته وموضع عطفه وثقته ورعاية مصالحه وتيسير أموره، أما المعتدي المتجاوز للحدّ، المنحرف الذي يريد الفساد في الأرض فسيلقى العذاب الرادع من الحاكم المقسِطِ في الدنيا، ثم يردُّ إلى ربه يوم القيامة ليلقى العقوبة الأشد بما اقترفت يداه في حياته الأولى"[3]، وبعد رحلةٍ ناجحةٍ بلغ فيها ذو القرنين أقصى الغرب، سلك طريقا آخر إلى

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت (٧/ ٢٢٢) .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥، هـ – ١٩٩٥ م ٥٠٢/٤ بتصرف .

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص ٣٠٥ بتصرف .

أقصى الشرق ليواصل مسيرته في حمل بشائر الخير ونشر مشاعل النور، قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ ﴾{ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا } أي: طريقاً آخر غير الطريق الأولى وهي التي رجع بها من المغرب وسار فيها إلى المشرق وقوله: ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: "ثم سلك ذو القرنين الطرقَ المؤديةَ إلى مقصِدِهِ، وكان ذو القرنين، على ما وقع في كتب التواريخ يدوس الأرض بالجيوش الثقال، والسيرة الحميدة والإعداد الموفي، والحزم المستيقظ المتقد، والتأييد المتواصل، وتقوى الله ﷻ، فما لقي أمة ولا مرَّ بمدينة إلا دانت له، ودخلت في طاعته، وكل من عارضَهُ أو توقف عن أمره جعله عظةً وآيةً لغيره"[1] .

٤- رسالة المؤمن رسالة تنوير وتحرير: قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾ أي: أقصى الشرق وجدها تطلع على قوم ليس لهم ما يسترهم، لا من البيوت ولا من اللباس، بل هم حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة ؛ قيل: لأنهم بأرض لا يمكن أن يستقرَّ عليها البناء[2]، أو لما هم عليه من بداوةٍ، وخلوٍّ من جميع مظاهر التمدُّن والرقيّ، ولا بدّ أنه رحمه الله – وقد حمل مشاعل النور وراية الإصلاح – قد ارتقى بتلك البلاد ونهض بها وألحقها بركب الحضارة ، فرسالة المؤمن رسالة تنوير وتحرير، رسالة إصلاح وتعمير، رسالة نهوض وتطوير.﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴾ وجد ذو القرنين من دون السدّين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم، ولا يكادون يُفقِهون أحدا قولهم، مع ذلك تمكن من

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ(٣/٥٤٠) .

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ (٣/ ٣٦٥).

معرفة مطالبهم وفهمهم وتفهيمهم، بفضل ما وهبه الله تعالى من أسبابٍ[1].﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾.

٥- تعزيز المصداقية في الدعوة: حيث عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السدِّ، وأجرة بنائه ليحميهم من أولئك المفسدين فقال لهم ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ فأبدى لهم ذو القرنين أنه مستغن عن مالهم، وأن ما آتاه الله خير مما لديهم، وطلب منهم أن يعاونوه فِي إقامة سد عظيم يحجز عنهم الأعداء .

٦- المشاركة المجتمعية وبناء الحضارات : قال تعالى: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ "لم يكن ذو القرنين رجلاً رحالة يسير هكذا بمفرده، بل مكَّنه الله من أسباب كل شيء، ومعنى ذلك أنه لم يكن وحده، بل معه جيش وقوة وعدد وآلات، معه رجال وعمال، معه القوت ولوازم الرحلة، وكان بمقدوره أنْ يأمرَ رجاله بعمل هذا السدّ، لكنه أمر القوم وأشركهم معه في العمل لِيُدرِّبهم ويُعلِّمهم ما داموا قادرين، ولديهم الطاقة البشرية اللازمة لهذا العمل"[2] .

٧- التمكين في الأرض وإقامة الدولة: "يتخلل هذه القصة من مغزى عميق، أو معنى دقيق، فقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ إشارة إلى أن التمكين في الأرض، أي أرض كانت، واستقرار السلطان فيها،

---

(١) يراجع: جامع البيان للطبري ١٨ / ١٠٣، قرأ حمزة والكسائي وخَلَف بضمّ الياء وكسر القاف: (يُفقِهون) من أفقهت فلانا كذا أفقهه إفقاها: إذا فهمته ذلك، والباقون بفتح القاف والياء ، من فقَه الرجل يفقَه فقها . النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد ابن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى تصوير دار الكتاب العلمية .

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم (١٤/ ٨٩٩١).

إنما يتم عند توافر الأسباب والعوامل الضرورية له، ويفهم من هذا أنه متى اختل سبب من تلك الأسباب أو عامل من تلك العوامل، وقع من الخلل بحسبه، وعلى قدر أهميته، وعلى رأس تلك الأسباب والعوامل: الإيمان بالله، وإقامة العدل بين الناس، ومقاومة الفساد وردع المفسدين، وهذه الأسباب والعوامل كلها توفرت في ذي القرنين، طبقا لما حكاه كتاب الله في قصته"[1]، إن التمكين في الأرض "نعمة يهبها الله لمن يشاء من عباده. وأن السير في الأرض لإحقاق الحق وإبطال الباطل من صفات المؤمنين الصادقين، وأن الحاكم العادل من صفاته: ردع الظالمين عن ظلمهم، والإحسان إلى المستقيمين المقسطين، والعمل على ما يجعلهم يزدادون استقامة وفضلا، وأن من معالم الخلق الكريم، أن يعين الإنسان المحتاج إلى عونه، وأن يقدم له ما يصونه عن الوقوع تحت وطأة الظالمين المفسدين، وأن من الأفضل أن يحتسب ذلك عند الله- تعالى-. وألا يطلب من المحتاج إلى عونه أكثر من طاقته، كما أن من أبرز صفات المؤمنين الصادقين: أنهم ينسبون كل فضل إلى الله- تعالى- وإلى قدرته النافذة، وأنهم يزدادون شكرا وحمدا له- تعالى- كلما زادهم من فضله"[2].

٨- حمل أصول الحضارة للعالم:

"لم تنته رحلة الرجل الصالح ذي القرنين في سبيل الله ومرضاته، فهو لم يترك مكانا إلا زاره، حاملا أصول الحضارة والمدنية والأخلاق، ومبلّغا الناس ما يؤمن به، أجابهم هذا القائد الزاهد والإمامُ الراشد إلى مطلبهم دون مقابلٍ، فهو صاحب رسالة إصلاح يؤديها في ربوع الكون، فهل يطمح في أعراض الدنيا الزائلة أم يجنح إلى هممٍ قاصرة، وقد وهبه الله تعالى من العلم والتمكين والفهم والتوفيق ما زاده طاعة وانقيادا وعزما واجتهادا في غرس بذور الخير أينما حلَّ، " قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٤/ ١٣)، مرجع سابق .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى (٨/ ٥٧٥) .

ما سألتموني من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطّأه لي، وقوّانى عليه، خير من جُعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفَعَلة وصُنَّاعٍ يُحسنون البناء والعمل"[1].

٩- من عوامل النهوض وأسباب الرقيِّ:

- الأخذُ بالأسبابِ المُعِينَةِ على ذلك من الإيمانِ الخالصِ والعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ ، مع الإخلاص والتجرد والتوكل واليقين وعلو الهمة .

- قيام الحضارات لا يتأتى بين عشية وضحاها؛ بل يأتي بعد جهدٍ جهيدٍ وصبرٍ جميلٍ وإعدادٍ جيّدٍ وتخطيطٍ محكمٍ .

- ضرورة إعداد الجيوش وتجهيزها بأحدث التقنيات مع إعداد الجنود والقادة، فلا سبيل إلى إزاحة الأنظمة المستبدة وحماية المستضعفين، وتمهيد طريق الدعوة، وتأمين المدعُوّين، ونشر العدالة والرحمة، إلا بالجهاد.

- وجود القيادة الراشدة: في قصة ذي القرنين نموذجٌ رائعٌ ومثالٌ واقعيٌّ للقائدِ الراشدِ والحاكمِ العادلِ والفاتحِ المؤيَّد، الذي يمكنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب؛ فيبلغ مشارق الأرض ومغاربها؛ فلا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للكسب المادي واستغلال الأفراد وابتزاز الشعوب، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق؛ ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه، إنما ينشر العدل في كل مكان يحلُّ به، ويساعد المتخلفين المستضعفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل؛ ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التغيير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق"[2] .

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٨ / ١١٣، التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ (٢/ ١٤٥٠) .

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي لسورة الكهف، إعداد: أحمد بن محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الأزهر وجامعة القصيم، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م(ص٩٦)

١٠- الإمام العادل ورقي الحضارات:

من صفات الإمام العادل أنه حربٌ على أعداء الله وسلم لأولياء الله، يدني أهل الطاعة ويباعد أهل المعصية، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويذكر دائما بفضل الله ورحمته، ومن واجبه أن يصون البلاد من كل مكروهٍ: قال ابن العربي: " وعلى الملك فرض أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغرهم من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي يجمعها خزنتهم تحت يده ونظره، حتى لو أكلتها الحقوق، وأنفدتها المؤن، واستوفتها العوارض، لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر لهم، **وذلك بثلاثة شروط:**

الأول: ألا يستأثر بشيء عليهم. الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة منهم فيعينهم. الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على مقدار منازلهم، فإذا فنيت بعد هذا ذخائر الخزانة وبقيت صفرا، فأطلعت الحوادث أمرا بذلوا أنفسهم قبل أموالهم، فإن لم يغن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير، وتصرف بأحسن تدبير، فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال قال: لست أحتاج إليه، وإنما أحتاج إليكم فأعينوني بقوة، أي اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم؛ ورأى أن الأموال لا تغني دونهم، وأنهم إن أخذوها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فعاد عليهم بالأخذ، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى"[١] .

فهذه الدروس وغيرها يمكن الاستفادة منها في قيام الحضارات في الوقت الحالي؛ لأن السنن الإلهية في المجتمعات لا تتغير ولا تتبدل .

---

(١) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م٣ / ٢٤٣ .

المطلب الثاني: الارتقاء الحضاري في ضوء قصة سليمان وملكة سبأ .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ

مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] .

وقال جل وعلا: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] .

حين نتأمل قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ نجدُ أنفسنا أمام حضارتين حضارة اليمن الممثلة في مملكة سبأ تلك الحضارة التي بلغت ذروة التقدم الماديّ، بينما تردَّت إلى قاع الانحطاط الفكري والخواء الروحي، تمثل ذلك في عبادة الشمس من دون الله وما صاحب ذلك من خرافات وأوهام ووساوس شيطانية .

بينما نجد أنفسنا أمام حضارة وارفة الظلال يانعة الثمار باسقة البنيان مشيدة الأركان، حضارة إنسانية رائدة، وصفحة بيضاء ناصعة في تاريخ بني إسرائيل، مملكة مؤمنة يقود زمامها نبي ملك، جمع بين نور النبوة وبهاء الملك وجلال الحكمة، ملك

(١) سورة النمل الآيات:(١٥ – ٤٤) .
(٢) سورة سبأ الآيتان:(١٢،١٣) .
(٣) سورة ص الآيات:(٣٠:٤٠) .

لمملكة واسعة الأطراف مترامية الأبعاد، ومع ذلك فهي مملكةٌ فتيةٌ قويةٌ، حصينةٌ متينةٌ بالعلم والإيمان، والنور والبرهان، والعدل والإحسان، والعمل والجهاد والعُدد والعتاد، ملكٌ علت همَّت وتسامت روحُه ومضت عزيمتُه، نبيٌّ أضاءت بصيرتُه وصفت نيتُه نبي الله سليمان ابن نبي الله داود – عليهما السلام– جمع الله لهما بين خيري الدنيا والآخرة، كما جمع الإنس والجن والطير تحت إمرته ورهن إشارته، وفي هذه المملكة الراشدة وفي أجواء هذه الحضارة الزاهرة وفي هذه التربة الصالحة النقية نبتت المواهب ونبهت العقول وتسامت الهمم، حين أحس كل فرد في المملكة بقيمته واستشعر أهميته وأدرك دوره المنوط به حتى النملة في الوادي والهدهد في عالمه كان لهما دور عظيم سجله القرآن آيات تتلى وتقتبس منها العبر(١) .

ومن الدروس الحضارية المستنبطة من هذه القصة ما يلي:

١– العلم أساس رقي الحضارات:

فالعلم حاجة ضروريَّةٌ للإنسان، فهو أساس النهضة، والتقدم، والتطور وعماد الحضارة، وقوام الحياة، وقد قام الإسلام على أساس متين من العلم، وحسبنا أن أول آيات نزلت على قلب رسول الله ﷺ أشارت إلى فضل العلم؛ حيث أمرت بالقراءة التي هي مفتاح العلم، ونوهت بالقلم الذي هو رمزُ العلم، وأداتُه التي يدوَّن بها، قال تعالي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾(٢)، فلا يُعرف دين مثل الإسلام، ولا كتاب مثل القرآن، أشاد بالعلم، وحثَّ عليه ورغب في طلبه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ "وفي الآية دليل على شرف العلم، وإنافة محله، وتقدم حملته، وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلًا على كثير من

(١) ينظر: القرآن والحضارة " دراسة موضوعية " إعداد أحمد بن محمد الشرقاوي عمادة البحث العلمي– المملكة العربية السعودية – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ١٤٣٣هـ – (ص٢٠٩) .

(٢) العلق الآيات (١:٥).

عباد الله المؤمنين"[1]، فالعلم نور وضياء، وهداية وعصمة، وغرس وبناء، وسمو وانطلاق، وتقدم وابتكار وتحضر وازدهار، وفضل من الله ونعمة، ومنحة ورحمة؛ به تنكشف الظلمات، وتنقشع غيوم الفتن وينجلي غبار الشبهات، وهو نبراس الحضارة وأساسها، وفي هذه الحضارة المزدهرة كان للعلم مكانة سامية وللعلماء منزلة رفيعة، والهدهد يَدِلُّ على سليمان بما حصَّله من علم ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ ، ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

يقول ابن القيم رحمه الله: "إن كل صفة مدح الله بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته. فمدحه بالإيمان وهو رأس العلم ولبه. ومدحه بالعمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع. ومدحه بالشكر والصبر والمسارعة في الخيرات"[2].

من خلال ما سبق يمكن القول: إن واجب الأمة أن تكون متحضِّرةً متقدِّمةً فإن هذا مما يصرف الأفئدة إلى هذا الدين الذي أمر بالتقدم والتحضُّر والرُّقي .

٣- استشعار المسئولية أساس رقي الحضارات:

إن الناظر في كتاب الله، يجد الإنسان مسئولا أمام خالقه، مسئولية مباشرة عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأعمال، وأن يجازى عليها، إن خير فخير، وإن شر فشر قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[3] ومن المعلوم أن الإنسان لم يخلق عبثا، ولم يترك سدى، فقد خلقه الله ليعبده حق عبادته قال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ مرجع سابق (١٣/ ١٦٤).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ـ (١/١١٥) ـ دار الكتب العلمية – بيروت بدون.

(٣) الزلزلة الآيتان (٧،٨).

تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] فمسئولية الإنسان متعددة الأبعاد، فهو مسئول أمام الله عن نفسه وعن حقوق الخلق، وحقوق الله تعالى المطلوبة منه، وليس لأحد أن يتحمل التبعية عنه، ويجني ثمار مسئوليته إن أحسن القيام بأعبائها، وينال العقاب إن قصر في ذلك[2]، يقول الحق ﷻ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾[3]،

ولذلك فالمسئولية الشاملة لم تدع فردا في الأمة خاليا منها، سواء كان رئيسا، أو مرؤوسا، ذكرا، أم أنثى مخدوما، أم خادما[4]،

ومن المسئولية الشفقة على الرعية فإن شفقة الراعي وجنوده على الرعية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ "تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا" [5]، "وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل مخلوق لا فساد منه، أجراه الله على نملة ليعلم شرف العدل، ولا يحتقر مواضعه، وأن ولي الأمر إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء وظهرت آثاره فيها"[6]، ومن المسئولية أيضاً: تفقد الراعي أحوال رعيته، وذلك في قوله تعالى:﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ وفي ذلك ما يدل على اليقظة والمحافظة على الرعية، فإذا كان هذا في شأن

---

(١) الذريات الآية (٥٦).

(٢) ينظر المسئولية الأخلاقية في التربية الإسلامية ــ د/ أحمد بن حسين بن عبد الله الموجان (صـ٢٦). رسالة ماجستير ــ المملكة العربية السعودية ــ جامعة أم القرى ــ كلية التربية ــ قسم التربية الإسلامية والمقارنة ــ ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

(٣) الإسراء الآية (١٣).

(٤) المسئولية الأخلاقية في التربية الإسلامية مرجع سابق ــ (صـ٢٨).

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- (١٤٢/٣) – مرجع سابق .

(٦) التحرير والتنوير ٢٤٣/٩، مرجع سابق .

الطير فكيف بشأن الناس وعظائم الملك[1]، إذا لا يخفى دور ذلك في صلاح الأحوال وإحكام النظام، كانت تلك بعض ملامح سياسته الداخلية، وأيضا يجب الأخذ بالأسباب المعينة والمؤدية إلى الترقّي والنهوض .

٣- السياسة الحكيمة في الملك أساس رقي الحضارات:

إن السياسة الخارجية قد تجلت بعض جوانبها في نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وقد تركزت حكمته عليه السلام في جميع مراحلها في تفعيل العلم الصحيح؛ لأنه أمضى من قوة السلاح وغيره، فإنه لما جاء الهدهد بخبر قوم سبأ تثبّت عليه السلام أولاً من صحة الخبر، ولم يستفزه طمع ولم يسيطر عليه غضب، "وإنما طلب الانتهاء إلى ما أخبر وتحصيل علم ما غاب من ذلك حتى يغيره بالحق ويرده إلى الله تعالى"[2] فلما استشارت الملكة ملأها ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فأحست منهم الميل إلى المحاربة ورأت أن تستخدم مالها بدلاً من القوة، إذ قالت: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ فتبين له قصدها من الهدية أن تصانعه لتصرفه عمّا تضمنه كتابه بالرشوة[3] فأجابهم بقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾"بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، فلذلك تفرحون بما تزادون به ويهدي إليكم؛ لأن ذلك مبلغ همتكم.. فإن قلت فما وجه الإضراب؟، قلت: لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها"[4]، فلما ارتحلت ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام طائعة واستبان له ما لهذه المرأة من حصافة ورجاحة عقل اتخذ أسلوب الحكمة في دعوتها إلى الإيمان بالله تعالى، قال ابن

---

(١) ينظر: أحكام القرآن ١٤٥٤/٣، مرجع سابق .

(٢) ينظر: المرجع السابق نفسه ١٤٥٨/٣، مرجع سابق .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦٨/١٩، أحكام القرآن ١٤٦٠/٣- مرجع سابق .

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١٤٨/٣- مرجع سابق .

زيد: "أعلم الله سليمان أنها ستأتيه فقال: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ "حتى يعاتبها، وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم"[1]،" وأراد سليمان عليه السلام أن يبين لملائه أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة، فطلب منهم ذلك ليكون مثلاً لتغلب العلم على القـــوة"[2]، ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ وفي هذا تنبيه على الذي عنده علم من الكتاب – وهو رجل من أهل الحكمة – اقتدر على ذلك وتغلب على العفريت مع ما فيه من شدة بقوة العلم وليس بالشدة[3]، فمن سياسة نبي الله سليمان الحكيمة: أنه لم يعاقب الهدهد وهو جنديٌّ من جنوده على غيابه إلا بعد أن سمع لعذره وأنصت له وهذا من كمال سياسته وعدله في مملكته ورفقه بالطير، وفي تفقد أحوال الجيش دليلٌ على يقظة القائد ونباهته وإحاطته برعيَّته وجنوده، وفي قوله أو ليأتيني بسلطان مبين دليلٌ على كياسته وفراسته وحسن ظنِّه برعيَّته، وفي وصف الهدهد لحضارة سبأ وملكتهم دليلٌ على وعيه الحضاري وبلاغة تعبيره حيث قال ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ولم يقل إني وجدت ملكة عليهم ولكنه قال إني وجدت امرأة تملكهم وكأنه يتعجب ويدهش من قوم سبأ الذين رضوا بامرأة ملكة عليهم وسلموا زمامهم لامرأة قد تنقاد للعواطف وتنساق وراء الأهواء فالمرأة فطرت على تقديم العاطفة على العقل وجبلت على أن تنقاد لا أن تقود وعلى أن تحكم لا أن تحكم، قال تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾، وهكذا نجد أن سليمان عليه السلام أعمل حكمته فيما تعرفه وهو عرشها، حيث أراها ما وهبه الله من قدرة عظيمة في إحضار

(١) جامع البيان للطبري: ١٩/١٦٠، مرجع سابق .

(٢) التحرير والتنوير ١٩/٢٧١، مرجع سابق .

(٣) ينظر: البقاعي: نظم الدرر(١٤/١٦٤)، التحرير والتنوير(١٩/٢٧١) مرجع سابق .

العرش والتصرف فيه مع عجزها عن السيطرة عليه، والعلم المذكور في الآية "علم الحكمة الذي علمه الله سليمان ورجال مملكته وتشاركهم بعض أهل سبأ في بعضه، فقد كانوا أهل معرفة أنشأوا بها حضارة مبهتة"(١)، ثم ترقّى بها إلى ما لا تعلم ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ ﴾ ليثبت لها أن العبادة من دون الله تصدّ عن استكمال العلم وتحقق الرشد، فإنها لما رأت الصرح انبهرت بما شاهدت ولم تعرف حقيقته ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ ﴾، ومن ثَمَّ أعلنت "إسلامها لما رأت من عظمة سلطانه وما آتاه الله تعالى وجلالة ما هو فيه، وأقرت بنبوته"(٢)، ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

٧- المقارنة بين الحضارتين:

ومن لطائف التفسير ما ذكره الزمخشري مقارنا بين قول الهدهد عن ملكة سبأ ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ وبين قول سليمان ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ النمل: ١٦ وكأني به يقارن لنا بين الحضارتين: يقول الزمخشري: فإن قلت: كيف قال:) وَأُوتِينَا مِن كُلّ شَيء (مع قول سليمان) وَأُوتِينَا مِن كُلّ شيء (النمل: ١٦) كأنه سوّي بينهما؟ قلت: بينهما فرق بين؛ لأن سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله، وهو تعليم منطق الطير، فرجع أوّلاً إلى ما أوتي من النبوّة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا، وعطفه الهدهد على الملك، فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد"(٣) . **من خلال ما سبق يمكن القول:**

إن قيام الحضارات الرائدة تقوم على ركائز العلم والمعرفة في ضوء المسئولية التي أوكلها الله للإنسان انطلاقا من حمل الأمانة، أما الحضارات البائدة تقوم على الجهل والتقليد والتبعية .

---

(١) التحرير والتنوير:(١٩/٢٧٤) – مرجع سابق .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير:(٦/ ٢٠٦) – مرجع سابق .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- (٣ / ٣٦٥) . – مرجع سابق

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على الرسول الكريم ﷺ، أما بعد: فمن خلال هذا البحث المتعلق بـ" دعوة القرآن الكريم إلى الارتقاء الحضاري للأمم"، نجمل نتائج هذه الدراسة، وأبرز التوصيات وذلك على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج:

١- الحضارة لها أهميتها البالغة للإنسان، فالإنسان كما قيل مدني بطبعه، يميل إلى العيش في المجتمعات، فإذا تهيَّأت له الأجواء الحضارية، وعاش حياة طيبة آمنة، بذل ما في وسعه للمشاركة في دورة التقدم والنهوض .

٢- الحضارة الإنسانية الرائدة تحقق للإنسان إنسانيته وتيسر له القيام بدوره المنشود، كما تيسر له غايته الكبرى وهي عبادة الله تعالى، وتعينه على تحقيق حاجياته وتلبية رغباته وبلوغ طموحاته المشروعة .

٣- الحضارة: نظام شامل يقوم بعمارة الأرض في ضوء المنهج الرباني الذي شرعه لنا رب العالمين وبينه النبي ﷺ .

٤- من أهم أسس التقدم والنهوض والرقي الحضاري التوكل على الله ﷻ الذي بيده مقاليد كل شيء وهو المدبر لهذا الكون المتصرف فيه بيده ﷻ

٥- الإنسان مطالب بصنع الحضارة والعمل على الرقي والتقدم وهذا من مقتضيات الاستخلاف

٦- العمل وسيلة إعمار الأرض: فقد سخر الله ﷻ للإنسان كل شيء في هذا الوجود لخدمته، واستمرار وجوده، لذا حث الإسلام على العمل وعلى الإتقان

٧- فإن صناع الحضارات يعرفون قيمة الوقت ويستخدمونه، ويوظفونه توظيفا صحيحا في التفكير والتخطيط وتقديم الحلول الموضوعية

٨- العدل أساس الملك ونبراس التقدم والازدهار ونهوض الحضارة وسياجها، وتاجُها ومنهاجُها، لا يمكن أن نتصور حضارة بدون عدل .

٩- إن الحضارة قرينة الحرية فالحرية من القيم الحضارية التي لها دور كبير في ازدهارها ورقيها.

١٠- الإحسان من القيم الحضارية التي أقرها القرآن الكريم وهو من أخلاق أهل الإيمان ومن أسباب النهوض والرقي الحضاري لما فيه من خيرٍ وصلاح للبلاد والعباد .

١١- يعتبر التنافس من أفضل القيم الحضارية؛ لأنه قرين الهمة العالية فصاحب الهمة، يسعى ليكون أول المتسابقين للرقي لمعالي الأمور في الدنيا والآخرة .

١٢- في القرآن الكريم صور ومشاهد للحضارات الرائدة والبائدة ولا يكتفي القرآن بالعرض والتصوير بل يشتمل على التحليل والنقد والاستنباط والاعتبار .

ثانيا: أبرز التوصيات:

١-يجب الاهتمام بالقيم الحضارية، والأخلاق الإسلامية الرفيعة، التي تعمل على رفاهية المجتمع، حتى يعيش المجتمع في سعادة أبدية .

٢-ضرورة البحث والتنقيب عن القيم الحضارية في القرآن الكريم وجمعها وتوظيفها والاستفادة منها .

٣-يجب دراسة هذه القيم في جميع المراحل التعليمية؛ لأنها من الثوابت التي أقام عليها الإسلام .

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانيا: أهم المصادر والمراجع:

١. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م٣ / ٢٤٣ .

٢. الأعلام قاموس لأشهر الرجال والمساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط١١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥م .

٣. أوضح التفاسير ـ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) ـ (١/ ٥٣٠) ـ المطبعة المصرية ومكتبتها ـ الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م .

٤. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت .

٥. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي أبو العباس ، ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت ط٢ / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ .

٦. بيان المعاني، ملاحويش آل غازى عبدالقادر، الموضوع: على حسب ترتيب النزول، القرن: چهاردهم، مطبعة الترقى، مكان الطبع: دمشق، سنة الطبع: ١٣٨٢ .

٧. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول صيقل الإسلام لبديع الزمان ـ سعيد النورسي ــ (المتوفى١٩٦٠م) ـ ترجمة سعيد الصالحى ـ سوزلر للنشر ـ استانبول ١٩٩٥م بدون .

٨. التربية البيئية في الإسلام د صالح بن علي أبو عراد – مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والعربية والإنسانية العدد الرابع .

٩. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم .

١٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م .

١١. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ .

١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – د وهبة بن مصطفى الزحيلي –: دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

١٣. التفسير الموضوعي لسورة الكهف، إعداد: أحمد بن محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الأزهر وجامعة القصيم، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م .

١٤. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى .

١٦. تفسير مجاهد ـ أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) تحقيق ــ الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ــ دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

١٧. التفكير الإبداعي ـ د/ طه جابر العلواني ـ إسلامية المعرفة- السنة الحادية عشر – العدد (٤١)، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، .

١٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري إشراف محمد عوض، علق عليها عمر سلامة، وعبد الكريم حامد، تقديم فاطمة محمد أصلان، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ــ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٠. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢١. جامع البيان في تأويل القرآن ـ محمد بن جرير الطبري(المتوفى:٣١٠هـ) ـ تحيق: أحمد محمد ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م .

٢٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٤. الجامع الكبير (سنن الترمذي) –وفي آخره كتاب العلل –المؤلف: محمد ابن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩

هـ) -المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد اللطيف حرز الله -الناشر: الرسالة العالمية - بيروت -سنة النشر: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ هـ .

٢٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - دار المعرفة - المغرب - الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٢٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٢٨. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ـــ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ـــ مطبعة المدني، القاهرة .

٢٩. الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة - العدد الثالث- ذو الحجة ١٣٩٧هـ - نوفمبر تشرين ثاني ١٩٧٧م.

٣٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) - السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - دار الكتاب العربي - بيروت .

٣١. الدر المنثور ـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ـ دار الفكر - بيروت بدون .

٣٢. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر – عبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ) – تحقيق: خليل شحادة – دار الفكر، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٣٣. ديوان حافظ إبراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٤. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت .

٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ـ تحقيق: علي عبد الباري عطية ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٦. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٥ / ١٨٥، دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٣٧. زاد المهاجر إلى ربه – محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – تحقيق: د. محمد جميل غازي – مكتبة المدني – جدة.

٣٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م

٣٩. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ .

٤٠. العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية"؛ للؤي صافي، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م،

٤١. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

٤٢. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

٤٣. القرآن والحضارة " دراسة موضوعية " إعداد أحمد بن محمد الشرقاوي عمادة البحث العلمي– المملكة العربية السعودية – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ١٤٣٣هـ .

٤٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

٤٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور– مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

٤٦. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٤٨. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٥٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م ج٣ .

٥١. مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبو الحسن على بن الحسين المسعودي (المتوفى: ٣٤٦ هـ) – تحقيق: أسعد داغر – دار الهجرة –١٤٠٩ هـ –

٥٢. المستدرك على الصحيحين – أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ) – الناشر: دار التأصيل – الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ – ٢٠١٤ .

٥٣. المسئولية الأخلاقية في التربية الإسلامية ــ د/ أحمد بن حسين ابن عبد الله الموجان رسالة ماجستير ـ المملكة العربية السعودية ــ جامعة أم القرى ـ كلية التربية ـ قسم التربية الإسلامية والمقارنة ـ ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٥٤. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٥٥. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، بيروت: دار الكتاب اللبناني، القاهرة: دار الكتاب المصري، .

٥٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر)، الناشر: دار الدعوة .

٥٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٨. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٥٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ــ دار الكتب العلمية – بيروت بدون.

٦٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

٦١. مقدمة ابن خلدون وهي مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر عبد الرحمن ابن خلدون، ، ط١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، .

٦٢. المنهج المسلوك في سياسة الملوك – عبد الرحمن بن نصر، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ) – تحقيق: علي عبد الله الموسى – مكتبة المنار

٦٣. مؤتمر السيرة النبوية الخامس بعنوان المجتمع المسلم. لسنة ٢٠١٣م ــ د/ احمد محمد الشرقاوي سالم ـ الجامعة الإسلامية جنوب البنجاب .المملكة العربية السعودية ..

٦٤. نحو إنسانية سعيدة د. محمد المبارك رحمه الله – دار الفكر بيروت – ١٣٨٩ هـ الطبعة الثانية– ص ٥٥

٦٥. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد ابن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى تصوير دار الكتاب العلمية.

٦٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥، هـ – ١٩٩٥ م.

٦٨. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ــ أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (المتوفى: ١٤٢٢هـ) ــ دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ .

تم بحمد الله